خَيْرُ هَدِيَّةٍ فِي اللَّيْلَةِ الْبَدْرِيَّةِ

تأليف

السيد علي بن علي بن محمد عدنان الأهدل

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان، وأكرمنا بالأمان والاطمئنان، وهدانا إلى صراطه المستقيم باتباع نبيه الكريم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الهادي إلى الحق والبيان، وأرشدنا إلى شرائعه وهدانا لتلاوة القرآن. نحمده سبحانه وتعالى حمدًا يليق بجلاله، ونشكره على آلائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وأصحابه أولي المكارم والإحسان.

أما بعد:

يسرنا أن نقدم هذا الكتيب المبارك بعنوان: «خير هدية في الليلة البدرية»، الذي أعده ورتبه الأخ الفاضل السيد علي بن علي بن محمد عدنان الأهدل - حفظه الله -، جامعًا فيه مباحث علمية رصينة تتناول أحداثًا عظيمة وقعت في ليلة السابع عشر من رمضان، والتي تركت أثرًا خالدًا في تاريخ الأمة الإسلامية.

محتويات الكتاب:

يتضمن هذا العمل خمسة مباحث رئيسية، تسلط الضوء على أحداث

مفصلية ومواقف تاريخية مشهودة، وهي:

١. نزول القرآن الكريم: أعظم حدث أضاء الأرض بنور الوحي.

٢. غزوة بدر الكبرى: يوم الفرقان، الذي نصر الله فيه عباده المؤمنين.

٣. فتح مكة: الفتح الأعظم الذي أعلِيت به كلمة الله واندحر الكفر.

٤. سيرة واستشهاد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الإمام الشهيد وأحد أعمدة الإسلام الراسخة.

٥. سيرة ووفاة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: العالمة الفقيهة التي قدمت للأمة تراثًا علميًا غنيًا.

أهمية الكتاب:

إن هذا الجهد العلمي المتميز لم يكن وليد الصدفة، بل هو ثمرة اجتهاد وسعي دؤوب للأخ السيد علي الأهدل - جزاه الله خير الجزاء -، الذي لم يكتفِ بجمع الأحداث وترتيبها فقط، بل نوى على شرحها وتوضيحها بأسلوب سهل وميسر باللغة السواحلية بإذن الله، مما يساهم في نشر هذا العلم الجليل بين أوسع شريحة من المسلمين، وخاصة في القارة الإفريقية.

وترجع عادة الاحتفاء بالليلة البدرية إلى جلسات علمية سنوية أطلقها أستاذنا العلامة الحبيب / محمد بن الشريف سعيد البيض - رحمه الله -،

في المسجد الجامع بمدينة ماليندي خلال الفترة من ١٤٠٥ هـ إلى ١٤٢٦ هـ. وقد استمرت هذه الجلسات وانتقلت لاحقًا إلى مسجد الرياض تحت رعاية السيدين عبد الله بن علي الأهدل وجعفر الصادق ابن الحبيب محمد البيض - حفظهما الله -، لتبقى ذكرى هذه الليلة حية في نفوس المسلمين.

دعوة وتحفيز:

إن خدمة السنة النبوية عمل جليل ينبغي لكل مسلم أن يسهم فيه بكل وسيلة متاحة، سواء بحفظها، أو تعليمها، أو نشرها. لذا نشيد بجهود الأخ السيد علي الأهدل في هذا العمل، ونحثه على مواصلة عطائه العلمي، سائلين الله أن يبارك جهوده ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

ختامًا:

نسأل الله عز وجل أن يبارك في هذا الكتاب وفي الجهود المبذولة لإعداده، وأن يجعله عملًا نافعًا متصلًا بأجر لا ينقطع، وأن يجزي الأخ السيد علي الأهدل خير الجزاء، ويجعله من أهل الإخلاص والقبول.

خادم العلم والعلماء
جمهورية مصر العربية
٥ يناير ٢٠٢٥ / ٥ رجب ١٤٤٦ هـ
أحمد بن محمد أبرار الخاتمي البراوي

مقدمة المؤلف

الحمد لله الهادِي إلى الرَّشادِ، وصَلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ المُرسَلِ لكافَّةِ العِبادِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وأتباعِهِ إلى يومِ التَّنادِ.

أمَّا بعدُ:

في صباحِ يومِ السابعَ عشرَ من شهرِ رمضانَ المُبارَكِ، تتجلَّى أمامَنا ذِكرى عَديدةٌ وعَظيمةٌ في تاريخِ الإسلامِ، ولها مكانةٌ كبيرةٌ لدى المسلمين، إذْ إنَّ هذا اليومَ يَحمِلُ الكثيرَ من الذِّكرياتِ الدينيَّةِ والأحداثِ المُبارَكةِ التي تَرتبطُ بشهرِ رمضانَ الكريمِ. هذه الذِّكرياتُ العظيمةُ تَتضمَّنُ ما يلي:

١. نزولُ القُرآنِ الكريمِ: فَفي هذا الشَّهرِ المُبارَكِ، بدأ نُزولُ القُرآنِ الكريمِ، الكتابُ الذي أخرجَ النَّاسَ من الظُّلماتِ إلى النُّورِ.

٢. غزوةُ بدرٍ الكُبرى: أُولى المعاركِ الكُبرى في الإسلامِ، التي كانت سببًا لنَصرةِ الدِّينِ الإسلاميِّ ورفعِ شأنِ المسلمينَ.

٣. فَتحُ مكةَ المُكرَّمةِ: في هذا اليومِ المُبارَكِ من رمضانَ، دَخلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكةَ فاتحًا بعدَ سنواتٍ من الصبرِ والجهادِ.

٤. استشهادُ سيِّدِنا عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه: حيثُ قتَلهُ ابنُ مُلجَمٍ في هذا الشَّهرِ، وكان لهذا الحادِثِ أثرٌ كبيرٌ في الأُمَّةِ.

٥. وفاةُ السيِّدةِ عائشةَ رضي اللهُ عنها: حيثُ توفِّيَت زوجةُ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأُمُّ المؤمنينَ في هذا الشَّهرِ الفضيلِ.

وهناكَ العديدُ من الأحداثِ الأُخرى التي تُصادِفُ شهرَ رمضانَ، وقدِ اختارَهَا الإمامُ الرَّاحلُ السيِّدُ محمَّدُ بنُ الشَّريفِ سعيدِ البَيْضِ في جلسةِ ليلةِ بدرٍ، ليلةَ السابعَ عشرَ من رمضانَ، حيثُ أسَّسها عامَ ١٤٠٥ ه في مسجدِ الجامعِ القديمِ في (مالندي -كينيا)، واستمرَّتْ حتى عامِ ١٤٢٦ه إذْ نُقِلَت إلى مسجدِ الرِّياضِ تحتَ رعايةِ السيِّدِ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ الأهدَلِ، والسيِّدِ جعفرَ الصَّادقِ ابنِ الحبيبِ محمَّدِ البيضِ حفظَهما اللهُ.

أسألُ اللهَ أن يجعلَنا منَ الذينَ يَتَفكَّرونَ في هذهِ الأحداثِ ويأخُذونَ منها العِبرةَ، وأن يُوفِّقَنا لاتِّباعِ سبيلِ الهُدَى والرَّشادِ.

السيد علي بن علي بن
محمد عدنان الأهدل

نُزُولُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

القُرآنُ لُغةً:

كلمةُ «القُرآنِ» مُشتقَّةٌ منَ الفعلِ «قَرَأَ»، ويَعني القِراءةَ والتِّلاوةَ.

فهو مَصدرٌ بمعنى «قِراءةٍ»، ويَدُلُّ على القِراءةِ المُستَمِرَّةِ.

القُرآنُ اصطلاحًا:

كلامُ اللهِ المُنزَّلُ على سيِّدِنا مُحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المُعجِزُ في لَفظِهِ، المُتعبَّدُ بتِلاوتِهِ، المنقولُ إلينا بالتَّواتُرِ، المبدوءُ بسورةِ الفاتحةِ والمختومُ بسورةِ النَّاسِ.

سببُ تسميةِ القُرآنِ:

قالَ بعضُ العُلماءِ إنَّ القُرآنَ سُمِّيَ بذلكَ لأنَّه يَجمَعُ بينَ القِراءةِ والموعظةِ، ويُظهِرُ القارئُ ما فيهِ منَ العِلمِ والحِكمةِ. وَقالَ أَبو إسحاقَ الزَّجَّاجُ في تفسيرِهِ:

«يُسمَّى كلامُ اللهِ تعالى الذي أَنزلَهُ على نَبيِّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كِتابًا، وقُرآنًا، وفُرقانًا؛ لأنَّه يَجمعُ السُّوَرَ فيَضُمُّها».

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ (القِيامَة: ١٧)، أي: جَمعَهُ.

حكى المظفريُّ في (تاريخِهِ):

قالَ: «لَمَّا جَمعَ أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ القُرآنَ:

«قالَ بعضُهم: سَمُّوهُ إنجيلًا، فَكرِهوهُ. وقالَ بعضُهم: سَمُّوهُ سِفرًا، فكرِهوهُ مِن يَهودَ. فقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: رأَيتُ الحَبَشَةَ يَدعونَ كِتابَهم المُصْحَفَ، فَسَمُّوهُ المُصْحَفَ»».

أهمِّيَّةُ جَمعِ القُرآنِ:

بعدَ وفاةِ الرَّسولِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، شَعَرَ الصَّحابَةُ بأهمِّيَّةِ جَمعِ القُرآنِ في مُصْحَفٍ واحدٍ، فقامَ الخَليفَةُ أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ بجَمعِهِ، واستَمَرَّ العَمَلُ على تَحسينِ ترتيبِ الآياتِ والسُّوَرِ عَبرَ الزَّمَنِ.

الإعجازُ القُرآنيُّ:

القُرآنُ الكريمُ: آياتُه وتَرتيبُهُ:

عـددُ أسـماءِ القُـرآنِ الـكـريمِ	٥٥ اسمًا.
عـددُ آيـاتِ القُـرآنِ الـكـريمِ	٦٢٣٦ آيَةً.
عـددُ كلماتِ القُرآنِ الـكـريمِ	٧٧٤٣٩ كَلِمَةً.
عـددُ حُروفِ القُرآنِ الـكريمِ	٣٢١٢٥٠ حَرْفًا.
عـددُ أَجـزاءِ القُـرآنِ الـكـريمِ	٣٠ جُزْءًا.
عـددُ أَحزابِ القُرآنِ الـكـريمِ	٦٠ حِزْبًا.
عـددُ أَربـاعِ القُـرآنِ الـكـريمِ	٢٤٠ رُبْعًا.
عـددُ سُوَرِ القُرآنِ الـكـريمِ	١١٤ سُورَةً.

نُزولُ القُرآنِ

أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ	العَلَقُ.
آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ	النَّصْرُ.
أَطْوَلُ سُورَةٍ في القُرآنِ الكريمِ	البَقَرَةُ (عددُ آياتِها ٢٨٦).
أَقصَرُ سُورَةٍ في القُرآنِ الكريمِ	الكَوْثَرُ (عددُ آياتِها ٣).
أَطْوَلُ آيَةٍ في القُرآنِ الكريمِ	آيَةُ الدَّيْنِ في سُورَةِ البَقَرَةِ.
أَقصَرُ آيَةٍ في القُرآنِ الكريمِ	طه.

أَعْظَمُ سُورَةٍ في القُرآنِ الكريمِ	الفَاتِحَةُ.
أَعْظَمُ آيَةٍ في القُرآنِ الكريمِ	آيَةُ الكُرْسِيِّ في سُورَةِ البَقَرَةِ.
أَطْوَلُ كَلِمَةٍ في القُرآنِ الكريمِ	فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ.
الكَلِمَةُ التي تَتوسَّطُ القُرآنَ الكريمَ	وَلْيَتَلَطَّفْ (سُورَةُ الكَهْفِ).

فَضْلُ القُرآنِ:

القُرآنُ هو كَلامُ اللهِ الذي لا يَأْتِيهِ الباطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ ولا من خَلْفِهِ. يَهْدي بِهِ اللهُ مَن يَشاءُ ويُضِلُّ بِهِ مَن يُغْوِيهِ. وهو كِتابٌ لا يَشْبَعُ العُلَماءُ من تَدَبُّرِهِ، ولا تَمَلُّ القُرَّاءُ من تِلاوَتِهِ.

كتابُ اللهِ، فيهِ نَبَأُ ما قَبْلَكُمْ، وخَبَرُ ما بَعْدَكُمْ، وحُكْمُ ما بَيْنَكُمْ. هو الفَصْلُ ليسَ بالهَزْلِ. مَن تَرَكَهُ من جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، ومَنِ ابْتَغى الهُدَى في غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ. وهو حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وهو الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وهو الصِّراطُ المُسْتَقيمُ، وهو الذي لا تَزِيغُ بِهِ الأهواءُ، ولا تَخْتَلِفُ بِهِ الآراءُ، ولا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسُنُ، ولا يَخْلَقُ عن كَثْرَةِ الرَّدِّ، ولا تَنْقَضِي عَجائِبُهُ، ولا يَشْبَعُ منه العُلَماءُ. مَن قالَ بِهِ صَدَقَ، ومَن حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، ومَن عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، ومَن دَعا إليهِ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ.

وهو الذي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إذْ سَمِعَتْهُ حتى قالوا:

﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ .

القُرآنُ الكريمُ هو كِتابُ اللهِ المُعجِزُ الذي أَنْزَلَهُ لِهدايةِ البَشَرِيَّةِ. جاءَ القُرآنُ كَخاتِمَةٍ لِما سَبقَهُ من الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ، وقد أرادَ اللهُ تعالى أن يَكونَ هذا الكِتابُ فارِقًا لا مَثيلَ لهُ، مُوَجَّهًا للنَّاسِ جميعًا دونَ تَحريفٍ أو تَبْديلٍ.

قالَ اللهُ تعالى:

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ .

نُزولُ القُرآنِ الكريمِ:

نَزَلَ القُرآنُ على النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وهوَ في غارِ حِراءَ عِندَما بَلَغَ الأربعينَ من عُمُرِهِ، وكانَ ذلكَ يومَ الاثنينِ السَّابعَ عَشَرَ من شهرِ رَمَضانَ. جاءَهُ جِبريلُ عليهِ السَّلامُ وأَقْرَأَهُ أُولى آياتِ سُورَةِ العَلَقِ:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ (سُورَةُ العَلَقِ، الآياتُ ١-٥).

نزولُ القُرآنِ جُملَةً واحِدَةً:

عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما، قالَ: «أُنزِلَ القُرآنُ في لَيلَةِ القَدرِ مِن شَهرِ رَمَضانَ جُملَةً واحِدَةً إلى السَّماءِ الدُّنيا، ثُمَّ نَزَلَ بَعدَ ذلكَ مُفرَّقًا على النَّبيِّ ﷺ».

قالَ اللهُ تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ (سورةُ القَدرِ، الآيةُ ١)،

ويقولُ أيضًا: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ (سورةُ الدُّخانِ، الآيةُ ٣).

كانَ جِبريلُ عليهِ السَّلامُ يُعارِضُ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالقُرآنِ كُلَّ عامٍ في شَهرِ رَمَضانَ، وفي العَامِ الذي تُوفِّيَ فيهِ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عارَضَهُ مَرَّتَينِ.

حِكمةُ نُزولِ القُرآنِ جُملَةً واحِدَةً

القُرآنُ قد نَزَلَ مِنَ اللَّوحِ المَحفوظِ إلى السَّماءِ الدُّنيا لَيلَةَ القَدرِ جُملَةً واحِدَةً، ثُمَّ نَزَلَ بَعدَ ذلكَ مُنَجَّمًا في ثَلاثٍ وعِشرينَ سَنَةً.

عنِ ابنِ عبَّاسٍ في قَولِهِ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ قالَ: نَزَلَ القُرآنُ جُملَةً واحِدَةً في لَيلَةِ القَدرِ، وكانَ اللهُ عزَّ وجلَّ يُنزِلُ على رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بَعضَهُ في أَثَرِ بَعضٍ. قالُوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾.

قالَ السُّيوطيُّ: «إنَّما نَزَلَ القُرآنُ مِنَ السَّماءِ جُملَةً واحِدَةً، لِتَفخِيمِ شَأنِهِ، وأمرٍ عَظيمٍ».

حِكمةُ نُزولِ القُرآنِ مُنجَّمًا (مُفرَّقًا)

أَجمَعَ أَهلُ العِلمِ مِن أُمَّةِ الإسلامِ على أنَّ القُرآنَ الكَريمَ نَزَلَ مِنَ السَّماءِ الدُّنيا على قَلبِ خاتَمِ المُرسَلينَ ﷺ مُفرَّقًا على فَتَراتٍ، استَغرَقَت أَكثَرَ مِن عِشرينَ عامًا. وكانَ مِن وراءِ ذلكَ مَقاصِدُ وحِكَمٌ، ذكَرَ أَهلُ العِلمِ بَعضًا مِنها.

فمِن مَقاصِدِ نُزولِ القُرآنِ مُفرَّقًا تَثبيتُ قَلبِ النَّبيِّ ﷺ ومُواساتُهُ، لِما يَنتابُهُ مِن مَشَقَّةِ تَبليغِ الرِّسالَةِ وما يُلاقيهِ مِن عَنَتِ المُشرِكينَ وصَدِّهِم، فكانَ القُرآنُ يَنزِلُ علَيهِ بَينَ الحينِ والآخَرِ تَثبيتًا لَهُ وإمدادًا لِمُواجَهَةِ ما يُلاقيهِ مِن قَومِهِ. قالَ تعالى مُبيِّنًا هذا المَقصَدَ:

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ (الفُرقانِ: ٣٢).

فالمُشرِكونَ باللهِ والمُنكرونَ لِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالُوا مُعاندينَ: هَلا نَزَلَ علَيهِ القُرآنُ مَرَّةً واحِدةً، كما نَزَلَتِ التَّوراةُ والإنجيلُ؟! فرَدَّ اللهُ علَيهِم قَولَهم ذلكَ بِبَيانِ أنَّ الإنزالَ على تِلكَ الصُّورةِ إنَّما كانَ لِحِكمةٍ بالِغَةٍ، وهيَ تَقويةُ قَلبِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتَثبيتُهُ؛ لأنَّهُ كالغيثِ كُلَّما أُنزِلَ أَحيا مَواتَ الأَرضِ وازدَهَرَت بِهِ، ونُزولُهُ مَرَّةً بَعدَ مَرَّةٍ أَنفَعُ مِن نُزولِهِ دُفعةً واحِدةً.

ثُمَّ مِن مَقاصِدِ تَنزيلِ القُرآنِ مُفرَّقًا الرَّدُّ على شُبَهِ المُشرِكينَ أَوَّلًا بِأَوَّلٍ، وَدَحضُ حُجَجِ المُبطِلينَ، إحقاقًا لِلحَقِّ وَإبطالًا لِلباطِلِ، قالَ تَعالَى:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفُرقان:٣٣).

ففي الآيَةِ بيانٌ لِحِكمةِ نُزولِ القُرآنِ مُفرَّقًا، وهُوَ أنَّ المُشرِكينَ كُلَّما جاءُوا بِمَثَلٍ أو عَرْضِ شُبهةٍ يَنزِلُ القُرآنُ بإبطالِ دَعواهُم وتَفنيدِ كَذِبِهِم، وَدَحضِ شُبَهِهِم.

ومِنَ المَقاصِدِ المُهِمَّةِ لِنُزولِ القُرآنِ مُفرَّقًا تَيسيرُ حِفظِهِ على النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعلى أَصحابِهِ الذينَ لَم يَكُنْ لَهُم عَهدٌ بِمِثلِ هَذا الكِتابِ المُعجِزِ، فَهُوَ لَيسَ شِعرًا يُسهِّلُ عليهِم حِفظُهُ، وَلَا نَثرًا يُشبِهُ كَلامَهُم، وإنَّما كانَ قَولًا ثَقيلًا في مَعانِيهِ وَمَرامِيهِ، فكانَ حِفظُهُ يَحتاجُ إلى تَرَيُّثٍ وتَدبُّرٍ وَتُؤَدَةٍ، قالَ تَعالَى:

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ (الإِسراء: ١٠٦).

ومِن مَقاصِدِ نُزولِ القُرآنِ مُفرَّقًا مُسايَرَةُ الحَوادِثِ المُستَجِدَّةِ، وَالنَّوازِلِ الواقِعَةِ، فَقَد كانَ القُرآنُ يَنزِلُ على النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُواكَبَةِ الوَقائِعِ الجَديدةِ، وَبَيانِ أَحكامِها، قالَ تَعالَى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النَّحل: ٨٩).

وَقد كانَ النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كَثيرًا ما يَتوقَّفُ عَنِ البَتِّ في حُكمِ مَسألَةٍ ما حَتَّى يَنزِلَ عَلَيهِ الوَحيُ. مِن ذَلِكَ مَثَلًا قِصَّةُ المَرأَةِ التي وَرَدَ ذِكرُها في سُورةِ المُجادَلَةِ، وَكانَ زَوجُها قَد قالَ لَها: «أَنتِ عَلَيَّ كَظَهرِ أُمِّي»، فَاشتَكَت إلى رَسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَولَ زَوجِها، فَأَمَرَها أَن تَتَمَهَّلَ رَيثَما يَنزِلَ اللهُ في أَمرِها حُكمًا، فَنَزَلَ فيها قَولُ اللهِ تَعالَى:

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ إلى قَولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المُجادَلَة: ٢-٣).

فَكانَ فيما نَزَلَ عَلَيهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تَقرِيرٌ شافٍ، وَحُكمٌ عادِلٌ، لَا يَسَعُ أَحَدًا رَدُّهُ أَو الإِعراضُ عَنهُ.

وَأَخيرًا، فَإِنَّ مِنَ المَقاصِدِ المُهِمَّةِ التي لِأَجلِها نَزَلَ القُرآنُ مُفرَّقًا الدَّلالَةُ على الإِعجازِ البَيانيِّ التَّشريعيِّ لِلقُرآنِ الكَريمِ.

أَسبابُ النُّزولِ

مَعرِفَةُ أَسبابِ النُّزولِ تُعَدُّ مِن أَهَمِّ أَدواتِ فَهمِ النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ، وَهِيَ مِفتاحٌ لِتَفسيرِ القُرآنِ الكَريمِ وَفَهمِ مَقاصِدِهِ.

فَوائِدُ مَعرِفَةِ أَسبابِ النُّزولِ وَأَهمِيَّتُها

١.بَيانُ الحِكمَةِ مِنَ التَّشريعِ:

مَعرِفَةُ أَسبابِ النُّزولِ تُساعِدُ في فَهمِ الحِكمَةِ التي دَعَت إلى تَشريعِ

الأَحكامِ. كَما تُظهِرُ مُراعَاةَ الشَّريعَةِ لِلمَصالِحِ العامَّةِ وَمُعالَجَةَ الحَوادِثِ الطَّارِئَةِ بِرَحمَةٍ وَرِفقٍ.

٢.تَخصِيصُ العُمومِ:

إذاكانَ النَّصُّ عامًّا، وَمَعرِفَةُ سَببِ النُّزولِ تُشيرُإلى أَنَّهُ خاصٌّ بِحالَةٍ مُعَيَّنَةٍ، فَهَذا يُحَدِّدُ مَعناهُ وَيُخصِّصُ دَلالَتَهُ. مِثالُ ذَلِكَ: إذا وَرَدَ لَفظٌ عامٌّ وَأُشيرَ إلى سَببِ نُزولِهِ الخاصِّ، فَإِنَّ التَّخصيصَ يُعتَمَدُ على النَّصِّ وَالسِّياقِ.

٣.فَهمُ مَعاني القُرآنِ:

مَعرِفَةُ أَسبابِ النُّزولِ تُعينُ على فَهمِ الآياتِ بِشَكلٍ صَحيحٍ، فَهِيَ تُفسِّرُ المَواضِعَ المُبهَمَةَ وَتَكشِفُ غُموضَها، مِمَّا يُزيلُ الالْتِباسَ وَيُوضِّحُ المَعنى المَقصودَ.

٤.تَحديدُ المُرادِ مِنَ النُّصوصِ:

أَسبابُ النُّزولِ تُساعِدُ في تَفسيرِ الآياتِ بِما يَتوافَقُ مَعَ سِياقِها، وَتُجنِّبُ إساءَةَ الفَهمِ أَو التَّأويلِ الخاطِئِ.

٥.بَيانُ تَطبيقِ النُّصوصِ:

مَعرِفَةُ أَسبابِ النُّزولِ تُظهِرُكَيفَ كانَتِ الآياتُ تُطبَّقُ في الواقِعِ، مِمَّا يُساعِدُ في فَهمِ شُموليَّةِ النُّصوصِ وَحِكمَتِها.

٦.تَوضِيحُ الأَحداثِ المُرتَبِطَةِ بِالنُّزولِ:

القُرآنُ الكَريمُ نَزَلَ استِجابَةً لِحَوادِث وَأَحداثٍ مُعَيَّنَةٍ، وَمَعرِفَةُ تِلكَ الحَوادِثِ تُظهِرُ جانِبًا مِنَ التَّفاعُلِ بَينَ النُّصوصِ وَالمُجتَمَعِ في ذَلِكَ الوَقتِ.

٧.التَّقليلُ مِنَ الخِلافِ في التَّفسيرِ:

تَحديدُ سَببِ النُّزولِ يُساعِدُ في تَقليلِ الخِلافاتِ بَينَ المُفَسِّرينَ، إِذ إِنَّهُ يَضَعُ النُّصوصَ في سِياقِها الصَّحيحِ.

أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي أَهَمِّيَّةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ

قَالَ الْوَاحِدِيُّ: «لَا يُمْكِنُ تَفْسِيرُ الْآيَةِ دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى سَبَبِ نُزُولِهَا وَبَيَانِ قِصَّتِهَا».

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي «الْبُرْهَانِ»: «مَعْرِفَةُ أَسْبَابِ النُّزُولِ طَرِيقٌ قَوِيٌّ لِفَهْمِ مَعَانِي الْقُرْآنِ».

أَمْثِلَةٌ مِنْ فَوَائِدِ مَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ

يُقَالُ إِنَّ بَعْضَ الْآيَاتِ نَزَلَتْ رَدًّا عَلَى أَسْئِلَةٍ أَوْ حَوَادِث مُعَيَّنَةٍ.

مِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ، بَيَانُ أَنَّ نُزُولَ آيَةٍ قَدْ يَكُونُ سَابِقًا لِوُقُوعِ الْحَادِثَةِ، مِمَّا يُظْهِرُ

إِعْجَازَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ وَاسْتِبَاقَهُ لِلْأَحْدَاثِ.

فَضَائِلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ، نَذْكُرُ بَعْضَهَا كَمَا يَلِي:

١. الْقُرْآنُ رَحْمَةٌ وَشِفَاءٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢)

٢. الْقُرْآنُ هُدًى وَبُشْرَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩)

٣. الْقُرْآنُ تَذْكِرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ (طه: ١-٣)

٤. الْقُرْآنُ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢)

٥. الْقُرْآنُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ (الزمر: ٢٣)

٦. الْقُرْآنُ مَحْفُوظٌ بِحِفْظِ اللَّهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)

مَا يَجِدُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

١.الثَّوَابُ الْعَظِيمُ لِكُلِّ حَرْفٍ يُقْرَأُ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا. لَا أَقُولُ أَلِفُ لَامٌ مِيمٌ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ». (رواه الترمذي)

٢.أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ، هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ». (رواه ابن ماجه)

٣.التَّرَقِّي فِي دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ

كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا».

(رواه الترمذي وأبو داود).

٤.شَفِيعٌ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ». (رواه مسلم)

٥.مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ». (رواه البخاري ومسلم)

٦.حِفْظُ الْقُرْآنِ يَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ وَأَهْلِهِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَهُ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِهِ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ». (رواه الترمذي)

خَاتِمَةٌ

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ الْمُعْجِزُ الَّذِي أَنْزَلَهُ هِدَايَةً وَرَحْمَةً لِلْبَشَرِيَّةِ.
قِرَاءَتُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ شَرَفٌ فِي الدُّنْيَا وَنَجَاةٌ فِي الْآخِرَةِ.

غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى

المَعْنَى:

بَدْرٌ: بِئْرٌ مَشْهُورَةٌ تَقَعُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ. سُمِّيَتْ بِهَذَا الِاسْمِ نِسْبَةً إِلَى مَنْطِقَةِ بَدْرٍ الَّتِي وَقَعَتِ المَعْرَكَةُ فِيهَا.

التَّارِيخ:

كَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ يَوْمَ الجُمُعَةِ، سَبْعَ صَبِيحَةِ عَشَرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ الهِجْرِيَّةِ.

العَدَدُ:

كَانَ عَدَدُ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، حَيْثُ كَانَ المُهَاجِرُونَ سَبْعِينَ، وَالأَنْصَارُ مِائَتَيْنِ وَسِتَّةً وَثَلَاثِينَ. لِوَاءُ المُسْلِمِينَ كَانَ مَعَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَصَاحِبُ رَايَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ.

الجَيْشُ:

كَانَ عَدَدُ المُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ مَا بَيْنَ تِسْعِمِائَةٍ إِلَى الأَلْفِ، وَمَعَهُمْ مِائَةُ فَرَسٍ وَثَلَاثُمِائَةِ دِرْعٍ وَسَبْعُمِائَةِ بَعِيرٍ.

السَّبَبُ فِي المَعْرَكَةِ:

خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةُ الكِرَامُ لِاسْتِرْدَادِ بَعْضِ الأَمْوَالِ الَّتِي نَهَبَتْهَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ فِي مَكَّةَ. وَكَانَ السَّبَبُ المُبَاشِرُ لِخُرُوجِهِمْ هُوَ اعْتِرَاضُ قَافِلَةٍ تِجَارِيَّةٍ لِقُرَيْشٍ مُحَمَّلَةٍ بِالبَضَائِعِ.

اسْتِعْدَادَاتُ قُرَيْشٍ:

لَمَّا سَمِعَ أَبُو سُفْيَانَ بِمَسِيرِ المُسْلِمِينَ، أَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ يَسْتَنْفِرُهُمْ لِحِمَايَةِ قَافِلَتِهِمْ. خَرَجَ رِجَالُ قُرَيْشٍ لِمُلَاقَاةِ المُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرَافِهِمْ إِلَّا أَبُو لَهَبٍ، الَّذِي أَرْسَلَ بَدَلَهُ العَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ المُغِيرَةِ.

اسْتِشَارَةُ الرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ قَبْلَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ:

اسْتَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ قَبْلَ التَّوَجُّهِ إِلَى بَدْرٍ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ. وَبَعْدَهَا، اسْتَشَارَهُمْ مُجَدَّدًا فَقَالَ المِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو:

«يَا رَسُولَ اللهِ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللهُ، فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ

بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ»، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمَا مُتَّبِعُونَ».

ثُمَّ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: «يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ تُرِيدُنَا؟»

فَقَالَ: «أَجَلْ».

قَالَ سَعْدٌ:

«آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَنَحْنُ مَعَكَ. فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا البَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا. إِنَّا لَصُبُرٌ فِي الحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ».

سُرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشَّطَهُ ذَلِكَ، فَانْطَلَقُوا إِلَى بَدْرٍ، وَتَجَهَّزَ المُسْلِمُونَ لِخَوْضِ المَعْرَكَةِ، وَعَسْكَرُوا عِنْدَ أَقْرَبِ مَاءٍ مِنْ بَدْرٍ.

جَاءَ الحُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ:

«يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا المَنْزِلَ، أَهُوَ مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَ اللهُ، فَلَا نَتَقَدَّمُهُ وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيدَةُ؟»

قَالَ الرَّسُولُ:

«بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيدَةُ».

فَقَالَ الحُبَابُ:

«يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ. امْضِ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ القَوْمِ، فَنَعْسكِرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَغُورَ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الآبَارِ، فَنَشْرَبَ وَلَا يَشْرَبُوا».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ».

فَأَمَرَ بِتَنْفِيذِ مَا أَشَارَ بِهِ الحُبَابُ، وَتَحَرَّكُوا لَيْلًا حَتَّى احْتَلُّوا مَوَاقِعَ المَاءِ.

قَضَى المُسلِمُونَ لَيْلَةً هَادِئَةً، وَقَدْ عَمَّتْهُمُ الثِّقَةُ، وَغَطَّتْهُم سَكِينَةُ اللهِ. تَسَاقَطَ عَلَيْهِمْ مَطَرٌ خَفِيفٌ، فَأَصْبَحَ الرَّمْلُ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ مُتَمَاسِكًا يَسْهُلُ عَلَيْهِمُ الحَرَكَةُ، وَنَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١)

كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَفَقَّدُ الرِّجَالَ، وَيَشُدُّ مِنْ عَزِيمَتِهِمْ، وَيُذَكِّرُهُم بِاللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى عَرِيشِهِ مُسْتَغْرِقًا فِي الدُّعَاءِ الْخَاشِعِ، مُسْتَغِيثًا بِمَدَدِ الرَّحْمَنِ، وَيُرَدِّدُ:

«اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ».

حَتَّى وَقَفَ بِجِوَارِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُشْفِقًا عَلَيْهِ، وَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، بَعْضَ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ».

بِدَايَةُ الْمَعْرَكَةِ

تَزَاحَفَ الْجَمْعَانِ، وَبَدَأَ الْهُجُومُ مِنْ قِبَلِ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ تَقَدَّمَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ صَوْبَ حَوْضِ الْمُسْلِمِينَ مُتَحَدِّيًا أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ أَوْ يَهْدِمَهُ أَوْ يَمُوتَ دُونَهُ، فَتَصَدَّى لَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَطَعَ سَاقَهُ، إِلَّا أَنَّ الْأَسْوَدَ زَحَفَ نَحْوَ الْحَوْضِ، حَتَّى قَتَلَهُ حَمْزَةُ فِيهِ.

ثُمَّ بَرَزَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ، فَخَرَجَ لِقِتَالِهِمْ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَحَمْزَةُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. قَاتَلُوا بِجُرْأَةٍ، حَتَّى قُتِلَ شَيْبَةُ وَالْوَلِيدُ، ثُمَّ اجْتَمَعَ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ عَلَى عُتْبَةَ فَقَتَلَاهُ، وَعَادُوا بِصَاحِبِهِمْ عُبَيْدَةَ الَّذِي تُوُفِّيَ مُتَأَثِّرًا بِجِرَاحِهِ.

اسْتَشَاطَ الْكُفَّارُ غَضَبًا مِنْ هَذَا النَّصْرِ الْأَوَّلِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ، فَهَاجَمُوا بِرِمَاحِهِمْ وَسِهَامِهِمْ، وَاشْتَدَّتِ الْمَعْرَكَةُ، حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ إِلَى أَرْضِ الْقِتَالِ، يَحُثُّ الْمُسْلِمِينَ قَائِلًا:

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ».

وَفِي تِلْكَ اللَّحظَاتِ، رَأَى النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَأْسِ فَرَسِهِ يَقُودُ مَلَائِكَةَ النَّصْرِ، فَاسْتَبْشَرَ وَقَالَ: «أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ».

ازْدَادَتْ عَزِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ، فتَكَسَّرَتْ صُفُوفُ قُرَيْشٍ تَحْتَ سُيُوفِهِمْ، وَانْهَزَمُوا.

الْقَلِيبُ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ، يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، وَيَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ». فَعَدَّدَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْقَلِيبِ. قَالَ: «هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا».

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُنَادِي قَوْمًا قَدْ جِيفُوا؟»

قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ: «يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ، بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ، كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِي النَّاسُ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَآوَانِي النَّاسُ، وَقَاتَلْتُمُونِي

وَنَصَرَنِي النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟»

رُجُوعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَفَلَ عَائِدًا إِلَى الْمَدِينَةِ يَسُوقُ أَمَامَهُ الْأَسْرَى وَالْغَنَائِمَ، وَأَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ يُبَشِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ بِالنَّصْرِ، فَلَمَّا قَارَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمَدِينَةَ تَلَقَّتْهُ الْوَلَائِدُ بِالدُّفُوفِ وَهُنَّ يُنْشِدْنَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ

أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ

وَفِي فَرْحَةِ الْمُسْلِمِينَ بِانْتِصَارِهِمْ فِي بَدْرٍ، قَالَ الْيَهُودُ مُسْتَهْزِئِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ حَارَبْنَا لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسَ».

فَنَزَلَ الْوَحْيُ يُنْذِرُهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥)

أَسْرَى بَدْرٍ

مَشُورَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَسْرَى بَدْرٍ تُعَدُّ مِنْ أَعْظَمِ الشَّوَاهِدِ عَلَى

الشُّورَى فِي الْإِسْلَامِ، وَحِرْصِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى إِشْرَاكِ أَصْحَابِهِ فِي الْقَرَارَاتِ الْمُهِمَّةِ. وَفِيمَا يَلِي تَفَاصِيلُ هَذِهِ الْحَادِثَةِ:

خَلْفِيَّةُ الْحَادِثَةِ

وَقَعَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَعْرَكَةٍ كُبْرَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ. بَعْدَ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَعَ فِي أَيْدِيهِمْ سَبْعُونَ مِنْ أَسْرَى قُرَيْشٍ. وَهُنَا وَاجَهَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَسْأَلَةَ مَصِيرِ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى.

الشُّورَى فِي الْأَمْرِ

دَعَا النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ لِلتَّشَاوُرِ حَوْلَ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ بِالْأَسْرَى، وَطَرَحَ الْأَمْرَ بَيْنَ رَأْيَيْنِ:

١. رَأْيُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- أَشَارَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَنْ يُطْلَقَ سَرَاحُ الْأَسْرَى مُقَابِلَ فِدْيَةٍ مَالِيَّةٍ.
- عَلَّلَ رَأْيَهُ قَائِلًا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُمْ قَوْمُكَ وَعَشِيرَتُكَ، فَاسْتَبْقِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ».
- كَانَ رَأْيُ أَبِي بَكْرٍ يَمِيلُ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالتَّأْلِيفِ بَيْنَ الْقُلُوبِ.

٢. رَأْيُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- اقْتَرَحَ عُمَرُ قَتْلَ الْأَسْرَى كَعِقَابٍ عَلَى قِتَالِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ.
- قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنَا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ. تُمَكِّنْ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنْنِي مِنْ فُلَانٍ (قَرِيبٍ لِعُمَرَ) فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ».
- عَلَّلَ رَأْيَهُ بِأَنَّ هَذَا الْإِجْرَاءَ سَيَكُونُ رَادِعًا قَوِيًّا لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُشَدِّدُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٦] وَإِنَّ مِثْلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ قَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نُوحٍ: ٢٦]».

وَرَأَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَأْيَ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ مَدَحَ كِلَا الصَّاحِبَيْنِ، لِأَنَّ الْوَجْهَةَ وَاحِدَةٌ وَهِيَ إِعْزَازُ الدِّينِ وَخِذْلَانُ الْمُشْرِكِينَ. ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَنْتُمُ الْيَوْمَ عَالَةٌ، فَلَا يُفْلِتَنَّ أَحَدٌ مِنْ أَسْرَاكُمْ إِلَّا بِفِدَاءٍ».

وَقَدْ بَلَغَ قُرَيْشًا مَا عَزَمَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِ الْأَسْرَى، فَنَاحَتْ عَلَى الْقَتْلَى شَهْرًا، ثُمَّ أُشِيرَ عَلَيْهِمْ مِنْ كِبَارِهِمْ أَلَّا يَفْعَلُوا، كَيْلَا يَبْلُغَ

مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جَزَعُهُمْ فَيَشْمَتُوا بِهِمْ.

فَسَكَتُوا وَصَمَّمُوا عَلَى أَلَّا يَبْكُوا قَتْلَاهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا بِثَأْرِهِمْ. وَتَوَاصَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَلَّا يُعَجِّلُوا فِي طَلَبِ الْفِدَاءِ، لِئَلَّا يَتَغَالَى الْمُسْلِمُونَ فِيهِ، ثُمَّ بَعَثُوا فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، وَكَانَتْ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ إِلَى تَعْلِيمِ عَشَرَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ الْمَالِ.

وَكَانَ مِنَ الْأَسْرَى:

١. عَمْرُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ.
٢. أَبُو الْعَاصِ زَوْجُ زَيْنَبَ بِنْتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٣. سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو.
٤. الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَخُو خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ.
٥. السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ.
٦. وَهْبُ بْنُ عُمَيْرٍ الْجُمَحِيُّ.
٧. أَبُو عَزِيزِ بْنُ عُمَيْرٍ أَخُو مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ.
٨. الْعَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٩. أَبُو عَزَّةَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُمَحِيُّ.

وَغَيْرُهُمْ.

فَتْحُ مَكَّةَ

فَتْحُ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ حَدَثٌ عَظِيمٌ مِنَ الْوَقَائِعِ الْفَاصِلَةِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ فِيهَا دِينَهُ وَأَذَلَّ أَعْدَاءَهُ. فَبِهَذَا الْفَتْحِ خَسِرَ الْكُفْرُ أَهَمَّ مَعَاقِلِهِ وَحُمَاتِهِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، وَبَعْدَهُ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَأَصْبَحَتْ مَكَّةُ قِلْعَةً مَنِيعَةً لِدِينِ التَّوْحِيدِ وَالْهِدَايَةِ.

فَتْحُ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ كَانَ فِي صَبَاحِ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ، السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ. كَانَ هَذَا الْفَتْحُ بِمَثَابَةِ الْحَدَثِ الْأَعْظَمِ، حَيْثُ رُفِعَتْ رَايَةُ الْإِسْلَامِ وَانْهَارَتْ شَوْكَةُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. كَانَ الْفَتْحُ الْأَعْظَمَ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ دِينَهُ، وَرَسُولَهُ، وَجُنْدَهُ، وَحَرَمَهُ الْأَمِينَ، وَاسْتَنْقَذَ مَكَّةَ وَبَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ. هَذَا الْفَتْحُ اسْتَبْشَرَتْ بِهِ السَّمَاءُ، وَاهْتَزَّ لَهُ وَجْهُ الْأَرْضِ ضِيَاءً وَبَهْجَةً.

أَهْدَاف فَتْحِ مَكَّة

الْهَدَفُ الْعَامُّ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ كَانَ كَالْهَدَفِ الَّذِي تَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ الْغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا الَّتِي قَادَهَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَمَنْعُ الْفِتْنَةِ، وَإِزَالَةُ الْحَوَاجِزِ الَّتِي تَصُدُّهُمْ عَنْ دِينِ الْحَقِّ. وَكَانَ هُنَاكَ أَيْضًا هَدَفٌ خَاصٌّ لِفَتْحِ مَكَّةَ، وَهُوَ نُصْرَةُ النَّبِيِّ لِحُلَفَائِهِ مِنْ خُزَاعَةَ بَعْدَ أَنْ اعْتَدَتْ عَلَيْهِمْ قُرَيْشٌ وَحُلَفَاؤُهَا، الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ بِمَثَابَةِ نَقْضٍ لِصُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ الَّذِي عَقَدَهُ النَّبِيُّ مَعَ قُرَيْشٍ.

نَقْضُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَة

كَانَتْ بُنُودُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ تَقْضِي بِالسِّلْمِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ، عَلَى أَنْ يَكُونَ لِمَنْ شَاءَ الِانْضِمَامُ إِلَى حِلْفِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ حِلْفِ قُرَيْشٍ. انْضَمَّتْ خُزَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ، بَيْنَمَا انْضَمَّتْ بَنُو بَكْرٍ إِلَى قُرَيْشٍ. وَرَغْمَ الِاتِّفَاقِ، نَقَضَتْ بَنُو بَكْرٍ الْعَهْدَ وَاعْتَدَتْ عَلَى خُزَاعَةَ لَيْلًا، وَقَدْ أَعَانَتْهُمْ قُرَيْشٌ بِالسِّلَاحِ. عِنْدَهَا قَدَّمَ زَعِيمُ خُزَاعَةَ، عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ، إِلَى الْمَدِينَةِ وَطَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ نُصْرَةَ حُلَفَائِهِ بَعْدَ أَنْ نَقَضَتْ قُرَيْشٌ وَبَنُو بَكْرٍ الْعَهْدَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمُصَنَّفِ عَنْ عِكْرِمَةَ، وَالْبَيْهَقِيِّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ عَنْ شُيُوخِهِ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ الْخُزَاعِيَّ خَرَجَ فِي أَرْبَعِينَ رَاكِبًا مِنْ خُزَاعَةَ يَسْتَنْصِرُونَ رَسُولَ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُخْبِرُونَهُ بِالَّذِي أَصَابَهُمْ، وَمَا ظَاهَرَتْ عَلَيْهِمْ قُرَيْشٌ وَمُعَاوَنَتُهُمْ لَهُمْ بِالرِّجَالِ، وَالسِّلَاحِ، وَالْكُرَاعِ، وَحُضُورِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَعِكْرِمَةَ، وَمَنْ حَضَرَ مِنْ قُرَيْشٍ. وَأَخْبَرُوهُ بِالْخَبَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ أَظْهرِ النَّاسِ، وَرَأْسُ خُزَاعَةَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ.

[شِعْرُ عَمْرِو الْخُزَاعِيِّ لِلرَّسُولِ يَسْتَنْصِرُهُ وَرَدُّهُ عَلَيْهِ]

فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ قِصَّتِهِمْ، قَامَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ فَقَالَ:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدَا ... ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا ... وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا
هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا ... وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا
وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رَصَدَا ... فَانْصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا أَيَّدَا
وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا ... فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
إِنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا ... فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا
قَرْمٌ لِقَرْمٍ مِنْ قُرُومٍ أَصْيَدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ». فَمَا بَرِحَ حَتَّى

مَرَّتْ عَنَانَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فَرَعَدَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ».

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ بِالْجِهَازِ وَكَتَمَهُمْ مَخْرَجَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُعْمِيَ عَلَى قُرَيْشٍ خَبَرَهُ حَتَّى يُبْغِتَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ.

أَبُو سُفْيَانَ يُحَاوِلُ إِصْلَاحَ مَا أَفْسَدَهُ قَوْمُهُ

وَأَحَسَّتْ قُرَيْشٌ - بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ - خَطَأَهَا، فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى الْمَدِينَةِ يُصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ قَوْمُهُ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُعِيدَ لِلْعَقْدِ الْمُهْدَرِ حُرْمَتَهُ!

وَبَلَغَ الْمَدِينَةَ، فَذَهَبَ إِلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ، وَأَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى الْفِرَاشِ، فَطَوَتْهُ دُونَهُ. فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ! مَا أَدْرِي، أَرَغِبْتِ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ أَمْ رَغِبْتِ بِهِ عَنِّي؟! فَقَالَتْ: بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ مُشْرِكٌ نَجِسٌ! قَالَ: وَاللَّهِ! لَقَدْ أَصَابَكِ بَعْدِي شَرٌّ!

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا.

وَاسْتَشْفَعَ أَبُو سُفْيَانَ بِأَبِي بَكْرٍ لِيُحَدِّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الشَّأْنِ فَرَفَضَ، فَتَرَكَهُ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ! وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ.

فَتَرَكَهُمَا إِلَى عَلِيٍّ فَرَدَّ عَلَيْهِ: وَاللَّهِ يَا أَبَا سُفْيَانَ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى أَمْرٍ

مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَلِّمَهُ فِيهِ، ثُمَّ نَصَحَهُ أَنْ يَعُودَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ. فَقَفَلَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى قَوْمِهِ يُخْبِرُهُمْ بِمَا لَقِيَ مِنْ صُدُودٍ.

وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَتَجَهَّزُوا، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ، وَأَوْصَاهُمْ بِالْجِدِّ وَالْبِدَارِ. وَقَالَ: «اللَّهُمَّ، خُذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نُبْغِتَهَا».

وَوَقَعَ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الدَّقِيقَةِ حَادِثٌ مُسْتَغْرَبٌ؛ فَإِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السَّابِقَةِ فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ تَطَوَّعَ بِإِرْسَالِ كِتَابٍ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ فِيهِ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَائِرٌ إِلَيْهِمْ بِجَيْشِهِ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

قِصَّةُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ

حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ يَبْقَى أَحدَ الصَّحابَةِ الَّذِينَ نَقَشُوا أَسْمَاءَهُمْ فِي صَفَحاتِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ خَطَئِهِ، فَقَدْ كَانَتْ تَوْبَتُهُ أَبْلَغَ مِنْ أَيِّ عُقُوبَةٍ، وَأَثْبَتَتْ أَنَّ الإِسْلَامَ دِينُ الرَّحْمَةِ وَالتَّسَامُحِ.

الظُّهُورُ العَلَنِيُّ لِجَيْشِ المُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ

فِي عَامِ الفَتْحِ، فِي يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ، زَحَفَ جَيْشُ المُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَ الجَيْشُ يَبْلُغُ عَدَدُهُ عَشَرَةَ آلَافِ جُنْدِيٍّ. وَصَلَ الجَيْشُ إِلَى مَكَانٍ يُسَمَّى «الظَّهْرَانَ»، حَيْثُ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِيقَادِ النِّيرَانِ فِي المَكَانِ. عِنْدَمَا رَأَتْ قُرَيْشٌ النِّيرَانَ البَاهِرَةَ، دَبَّ الذُّعْرُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَرْسَلُوا عَلَى الفَوْرِ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَحَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ وَبُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ لِيَسْتَقْصُوا الأَمْرَ، وَلِعِلَاجِ المُشْكِلَةِ وَتَجْدِيدِ الصُّلْحِ مَعَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهُ وَجَدَ أَنَّ فُرْصَةَ ذَلِكَ فَاتَتْ لِأَنَّ الرَّسُولَ عَزَمَ عَلَى الغَزْوِ وَأَمَرَ بِالتَّجَهُّزِ لَهُ.

لِقَاءُ أَبِي سُفْيَانَ بِجَيْشِ المُسْلِمِينَ

وَصَلَ مَبْعُوثُو قُرَيْشٍ إِلَى مَكَانِ جَيْشِ المُسْلِمِينَ فِي «الظَّهْرَانِ» وَشَاهَدُوا النِّيرَانَ المُتَّقِدَةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: «وَاللَّهِ كَأَنَّهَا نِيرَانُ يَوْمِ عَرَفَةَ!» فَرَدَّ

عَلَيْهِ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ مُحَاوِلًا تَهْدِئَتَهُ: «إِنَّهَا رُبَّمَا نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو». بَيْنَمَا هُمْ يَتَحَدَّثُونَ، رَأَوْا رِجَالًا مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِمْ وَأَخَذُوهُمْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. دَعَاهُمُ النَّبِيُّ إِلَى الإِسْلَامِ، فَشَهِدُوا شَهَادَةَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».

إِعْلَانُ العَفْوِ وَالأَمَانِ

بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، طَلَبَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمْنَحَ أَبُو سُفْيَانَ شَيْئًا مِنَ الشَّرَفِ، فَأَعْلَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ».

دُخُولُ الجَيْشِ الإِسْلَامِيِّ إِلَى مَكَّةَ

أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادَةَ الجَيْشِ بِالدُّخُولِ إِلَى مَكَّةَ، وَأَلَّا يُقَاتِلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ. وَلَكِنْ اسْتَثْنَى بَعْضَ الأَشْخَاصِ الَّذِينَ عَظُمَ أَذَاهُمْ لِلإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَأَهْدَرَ دِمَاءَهُمْ. دَخَلَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ بِجَيْشِهِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، حَيْثُ اِعْتَرَضَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ قُرَيْشٍ، فَقَاتَلَهُمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ شَخْصًا.

أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ مَكَّةَ مِنْ جِهَةِ «كَدَاءٍ»، وَهُوَ مُتَوَاضِعٌ

يَرْكَبُ رَحْلَتَهُ، وَاضِعًا رَأْسَهُ خُشُوعًا وَشُكْرًا لِلَّهِ، حَتَّى كَادَتْ جَبْهَتُهُ تُلَامِسُ رَحْلَهُ. وَكَانَ بِجِوَارِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَصَلَ النَّبِيُّ إِلَى الكَعْبَةِ وَطَافَ حَوْلَهَا وَهُوَ عَلَى رَحْلَتِهِ، وَأَخَذَ يَطْعَنُ أَصْنَامَهَا بِعَصَاهُ قَائِلًا: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

تَطْهِيرُ الكَعْبَةِ مِنَ الأَصْنَامِ

أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِخْرَاجِ الأَصْنَامِ مِنَ الكَعْبَةِ، وَكَانَ حَوْلَ الكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا. فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْعَنُهَا بِعَصَاهُ حَتَّى تَسَاقَطَتْ. وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ صُورَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، حَيْثُ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَظُنُّ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِالأَزْلَامِ. فَصَحَّحَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، لَقَدْ عَلِمُوا مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ».

وَبِذَلِكَ طُهِّرَتِ الكَعْبَةُ مِنَ الأَصْنَامِ وَعَادَتْ إِلَى قُدْسِيَّتِهَا.

خُطْبَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ

خُطْبَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ أَعْظَمِ اللَّحَظَاتِ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ، حَيْثُ تَجَلَّى فِيهَا العَفْوُ وَالرَّحْمَةُ. أَلْقَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اليَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ مَكَّةَ فَاتِحًا، فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلهِجْرَةِ، بَعْدَ أَنْ عَادَ إِلَى المَدِينَةِ الَّتِي أُخْرِجَ مِنْهَا قَسْرًا. الخُطْبَةُ تَعْبِرُ عَنْ قِيَمِ

الإِسْلَامِ الأَسَاسِيَّةِ مِنَ التَّسَامُحِ، العَدْلِ، وَوَحْدَةِ الإِنْسَانِيَّةِ.

مَضْمُونُ خُطْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بَعْدَ أَنْ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وَطَافَ بِالكَعْبَةِ، أَلْقَى خُطْبَتَهُ الشَّهِيرَةَ. وَمِنْ أَبْرَزِ مَا جَاءَ فِيهَا:

١. إِعْلَانُ حُرْمَةِ مَكَّةَ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلَّا لِمُعَرِّفٍ، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا». (رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

هُنَا أَكَّدَ النَّبِيُّ عَلَى قُدْسِيَّةِ مَكَّةَ وَحُرْمَتِهَا كَبَلَدٍ آمِنٍ، وَهِيَ رِسَالَةٌ تُوَضِّحُ مَكَانَةَ هَذِهِ الأَرْضِ فِي الإِسْلَامِ.

٢. إِعْلَانُ العَفْوِ العَامِّ

عِنْدَمَا جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ مَكَّةَ الَّذِينَ كَانُوا أَعْدَاءَهُ سَابِقًا، وَسَأَلُوهُ عَمَّا سَيَفْعَلُ بِهِمْ، قَالَ لَهُمْ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟»

فَقَالُوا: «خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ».

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ».

هَذَا المَوْقِفُ العَظِيمُ يُبْرِزُ الرَّحْمَةَ وَالعَفْوَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ لَمْ يَنْتَقِمْ مِمَّنْ آذَوْهُ وَشَرَّدُوهُ.

٣.تَرْسِيخُ قِيَمِ المُسَاوَاةِ

قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظُّمَهَا بِالآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ».

وَأَكَّدَ أَنَّهُ:

«لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى».

فَخُطْبَتُهُ ﷺ فِي فَتْحِ مَكَّةَ كَانَتْ مَحَطَّةً فَاصِلَةً فِي الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَأَصْبَحَتْ نَمُوذَجًا خَالِدًا لِلْقِيَادَةِ الحَكِيمَةِ وَالرَّحْمَةِ.

بَيْعَةُ فَتْحِ مَكَّةَ

بَيْعَةُ فَتْحِ مَكَّةَ كَانَتْ حَدَثًا عَظِيمًا فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلهِجْرَةِ، عِنْدَمَا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ فَاتِحًا وَمَعَهُ جَيْشُ المُسْلِمِينَ. بَعْدَ تَطْهِيرِ الكَعْبَةِ مِنَ الأَصْنَامِ، دَعَا النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ مَكَّةَ إِلَى الإِسْلَامِ وَالبَيْعَةِ لَهُ عَلَى الطَّاعَةِ وَالإِيمَانِ.

البَيْعَةُ كَانَتْ وَلَا تَزَالُ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ الإِسْلَامِيِّ الَّذِي يُوَازِنُ بَيْنَ السُّلْطَةِ وَالوَاجِبَاتِ، وَيَرْبِطُ بَيْنَ الدِّينِ وَالحَيَاةِ.

قَالَ الحَافِظُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -:

اجْتَمَعَ النَّاسُ بِمَكَّةَ لِبَيْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلَامِ، فَجَلَسَ لَهُمْ - فِيمَا بَلَغَنِي - عَلَى الصَّفَا، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَسْفَلَ مِنْ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ عَلَى النَّاسِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِيمَا اسْتَطَاعُوا.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ، بَايَعَ النِّسَاءَ، وَفِيهِنَّ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ، مُتَنَقِّبَةً مُتَنَكِّرَةً خَوْفًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَايِعْنِي عَلَى أَلَّا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا».

فَرَفَعَتْ هِنْدُ رَأْسَهَا وَقَالَتْ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَأْخُذُ عَلَيْنَا مَا لَا تَأْخُذُهُ عَلَى الرِّجَالِ!»

فَقَالَ: «وَلَا تَسْرِقْنَ». فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَصَبْتُ مِنْ مَالِ أَبِي سُفْيَانَ الْهِنَّةَ بَعْدَ الْهِنَّةِ، وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَكَانَ ذَلِكَ حَلَالًا أَمْ لَا؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ - وَكَانَ شَاهِدًا لِمَا تَقُولُ -: أَمَّا مَا أَصَبْتِ فِيمَا مَضَى فَأَنْتِ مِنْهُ فِي حِلٍّ - عَفَا اللَّهُ عَنْكِ.

ثُمَّ قَالَ: «وَلَا تَزْنِينَ». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ تَزْنِي الْحُرَّةُ؟!

ثُمَّ قَالَ: «وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ». فَقَالَتْ: قَدْ رَبَّيْنَاهُمْ صِغَارًا وَقَتَلْتَهُمْ كِبَارًا، فَأَنْتَ وَهُمْ أَعْلَمُ.

فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَرُ.

ثُمَّ قَالَ: «وَلَا تَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُنَّ وَأَرْجُلِكُنَّ». فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّ إِتْيَانَ الْبُهْتَانِ لَقَبِيحٌ، وَلِبَعْضِ التَّجَاوُزِ أَمْثَلُ.

ثُمَّ قَالَ: «وَلَا تَعْصِينَ». فَقَالَتْ: فِي مَعْرُوفٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: «بَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

فَبَايَعَهُنَّ عُمَرُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُصَافِحُ النِّسَاءَ، وَلَا يَمَسُّ جِلْدَ امْرَأَةٍ لَمْ يُحِلَّهَا اللَّهُ - تَعَالَى - لَهُ أَوْ ذَاتَ مَحْرَمٍ.

سيرة واستشهاد سيدنا علي بن أبي طالب

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

النسب والمولد:

سَيِّدُنا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبِ بنُ عَبْدِ مَنَافِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، أَبُو الحَسَنِ القُرَشِيُّ الهَاشِمِيُّ، ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحَدُ أَبْرَزِ شَخْصِيَّاتِ الإِسْلَامِ وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ.

وُلِدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ دَاخِلَ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ، الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ، قَبْلَ البَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ بِعَشْرِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيبًا، وَهُوَ أَوَّلُ هَاشِمِيٍّ وُلِدَ بَيْنَ هَاشِمِيَّيْنِ.

أُمُّهُ:

وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ الهَاشِمِيَّةُ، وَهِيَ بِنْتُ عَمِّ

أَبِي طَالِبٍ. كَانَتْ مِنَ المُهَاجِرَاتِ، تُوُفِّيَتْ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمَدِينَةِ.

كُنْيَتُهُ:

أَبُو تُرَابٍ: إِحْدَى كُنْيَتَيْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الكُنْيَةُ الثَّانِيَةُ: أَبُو الحَسَنِ.

وَكَانَتْ «أَبُو تُرَابٍ» أَحبَّ الكُنْيَتَيْنِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ سَبَبَهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَسَأَلَهَا عَنْ عَلِيٍّ، فَقَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ -تَعْنِي: مُشَادَّةً- فَخَرَجَ مُغَاضِبًا، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْحَثُ عَنْهُ، فَوَجَدَهُ فِي المَسْجِدِ قَدْ سَقَطَ عَنْهُ رِدَاؤُهُ وَالتَصَقَ التُّرَابُ بِجَسَدِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ عَنْهُ التُّرَابَ، وَيَقُولُ لَهُ: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ».

الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- الإِخْوَةُ الأَشِقَّاءُ:

١. طَالِبُ بنُ أَبِي طَالِبٍ:

- أَكْبَرُ أَبْنَاءِ أَبِي طَالِبٍ.
- لَمْ يُعْرَفْ عَنْهُ الكَثِيرُ فِي الإِسْلَامِ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يُسْلِمْ وَتُوُفِّيَ فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ.

٢. عَقِيلُ بنُ أَبِي طَالِبٍ:

- كَانَ أَكْبَرَ مِنْ عَلِيٍّ بِعَشْرِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيبًا.
- أَسْلَمَ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَكَانَ يُعْرَفُ بِفِطْنَتِهِ وَحِكْمَتِهِ.

٣. جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ:

- يُلَقَّبُ بِ «جَعْفَرِ الطَّيَّارِ» لِشَجَاعَتِهِ وَاسْتِشْهَادِهِ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ.
- كَانَ مِنْ أَوَائِلِ المُسْلِمِينَ وَشَارَكَ فِي الهِجْرَةِ إِلَى الحَبَشَةِ.
- اسْتُشْهِدَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلهِجْرَةِ.

٤. عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ:

- أَصْغَرُ إِخْوَتِهِ الأَشِقَّاءِ.
- تَرَبَّى فِي بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاشْتَهَرَ بِشَجَاعَتِهِ وَوَرَعِهِ وَعِلْمِهِ.

○ الأَخَوَاتُ الشَّقِيقَاتُ:

١. فَاخِتَةُ (أُمُّ هَانِئٍ) بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ:

- كَانَتْ مِنْ أَوَائِلِ النِّسَاءِ اللَّاتِي أَسْلَمْنَ.
- لَهَا مَكَانَةٌ مُمَيَّزَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢. جُمَانَةُ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ:

- لا يُعرَفُ عَنْهَا الكَثِيرُ، وَلَكِنَّهَا ذُكِرَتْ فِي بَعْضِ السِّيَرِ وَالتَّرَاجِمِ.

- الإِخْوَةُ مِنَ الرَّضَاعَةِ:

كَانَ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ إِخْوَةٌ مِنَ الرَّضَاعَةِ، حَيْثُ رَضَعَ مِنْ ثَدْيِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ مُرْضِعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، مِمَّا يَجْعَلُهُ أَخًا لِلنَّبِيِّ مِنَ الرَّضَاعَةِ أَيْضًا.

نَشْأَتُهُ:

نَشَأَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ فِي كَنَفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ كَفَلَهُ النَّبِيُّ إِثْرَ أَزْمَةٍ اقْتِصَادِيَّةٍ أَصَابَتْ قُرَيْشًا. كَانَ عَلِيٌّ قَرِيبًا جِدًّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، مِمَّا أَثَّرَ عَلَى شَخْصِيَّتِهِ وَسُلُوكِهِ، وَجَعَلَهُ مِثَالًا فِي الإِيمَانِ وَالصِّدْقِ وَالشَّجَاعَةِ.

إِسْلَامُهُ:

أَسْلَمَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي العَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ مِنَ الصِّبْيَانِ. ظَلَّ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ مَرَاحِلِهِ، سَوَاءً فِي مَكَّةَ أَوْ بَعْدَ الهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ.

دَوْرُهُ فِي الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ:

كَانَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَوْرٌ بُطُولِيٌّ أَثْنَاءَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى المَدِينَةِ. بَاتَ فِي فِرَاشِ النَّبِيِّ لِيُضَلِّلَ قُرَيْشًا وَيُعِيدَ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، مُتَحَمِّلًا خَطَرَ التَّعَرُّضِ لِلْقَتْلِ مِنْ قِبَلِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.

مكانَتُهُ فِي الإِسْلَامِ:

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ أَحَدُ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بِالجَنَّةِ، وَرَابِعُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ. كَانَ فَارِسًا شُجَاعًا، وَعَالِمًا فَقِيهًا، وَخَطِيبًا بَارِعًا، وَاشْتَهَرَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدَالَتِهِ. تَوَلَّى الخِلَافَةَ بَعْدَ مَقْتَلِ الخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَمِلَ عَلَى إِعَادَةِ اسْتِقْرَارِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

صِفَاتُهُ الجَسَدِيَّةُ وَالأَخْلَاقِيَّةُ:

وُصِفَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ بِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا قَوِيَّ البُنْيَةِ، ذَا وَجْهٍ مُشْرِقٍ، وَلِحْيَةٍ كَثِيفَةٍ، وَعَيْنَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ. كَانَ عَادِلًا، زَاهِدًا، شُجَاعًا، وَمُتَوَاضِعًا. اشْتَهَرَ بِحُبِّهِ لِلْعِلْمِ وَالحِكْمَةِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بـ «بَابِ مَدِينَةِ العِلْمِ» لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا».

صِفَاتُهُ الخُلُقِيَّةُ:

تَحَلَّى عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَنَذْكُرُ أَبْرَزَ صِفَاتِهِ الأَخْلَاقِيَّةِ فِيمَا يَأْتِي:

الشَّجَاعَةُ وَالبُطُولَةُ:

اشْتُهِرَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِالقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَقَدْ رَوَتْ عَنْهُ كُتُبُ السِّيَرِ وَالمَغَازِي كَثِيرًا مِنَ المَوَاقِفِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ، وَمِنْهَا مُنَازَلَتُهُ لِأَعْدَاءِ

الإِسْلَامِ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْقِعَةٍ وَهَزِيمَتُهُمْ، فَفِي أُحُدٍ دَافَعَ عَنِ النَّبِيِّ بِسَيْفِهِ دِفَاعًا شَدِيدًا، وَفِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ نَازَلَ عَمْرو بْنَ عَبْدِ وَدٍّ المَشْهُورَ فَأَرْدَاهُ قَتِيلًا، وَكَانَ لَهُ صَوْلَاتٌ وَجَوْلَاتٌ فِي بَدْرٍ الكُبْرَى وَغَيْرِهَا.

التَّضْحِيَةُ بِالنَّفْسِ:

كَانَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مِثَالًا فِي التَّضْحِيَةِ بِالنَّفْسِ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ وَحِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنَ الْمَوَاقِفِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ، عِنْدَمَا نَامَ فِي فِرَاشِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، حَيْثُ أَرَادَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَتْلَ النَّبِيِّ وَهُوَ نَائِمٌ، فَهَاجَرَ النَّبِيُّ، وَافْتَدَى عَلِيٌّ النَّبِيَّ بِنَفْسِهِ، وَنَامَ فِي فِرَاشِهِ لِيُوهِمَهُمْ أَنَّهُ النَّبِيُّ حَتَّى لَا يُدْرِكُوهُ.

الزُّهْدُ وَالْوَرَعُ:

كَانَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- زَاهِدًا وَرِعًا، لَا يَتَطَلَّعُ إِلَى مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا الزَّائِلَةِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي الزُّهْدِ: «طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا وَالرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطًا، وَتُرَابَهَا فِرَاشًا، وَمَاءَهَا طِيبًا، وَالْكِتَابَ شِعَارًا، وَالدُّعَاءَ دِثَارًا، وَرَفَضُوا الدُّنْيَا رَفْضًا».

غَزَارَةُ الْعِلْمِ:

اشْتَهَرَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِقُوَّةِ عِلْمِهِ وَفِقْهِهِ وَغَزَارَتِهِ، فَكَانَ يُوَضِّحُ

أَحْكَامَ الْعِبَادَاتِ لِلنَّاسِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْأَحْكَامُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالطَّهَارَةِ، وَنَوَاقِضِ الْوُضُوءِ، وَأَحْكَامُ الصَّلَاةِ، وَكَيْفِيَّةُ قَضَائِهَا، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَأَحْكَامِهَا. يَكْفِيهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ».

الْكَرَمُ وَالسَّخَاءُ:

سَيِّدُنَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عُرِفَ بِسَخَائِهِ وَكَرَمِهِ، الَّذِي كَانَ جُزْءًا مِنْ شَخْصِيَّتِهِ النَّبِيلَةِ وَصِفَاتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

حَادِثَةُ التَّصَدُّقِ بِالْخَاتَمِ:

يُرْوَى أَنَّ عَلِيًّا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَانَ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ فَقِيرٌ يَسْأَلُ النَّاسَ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ شَيْئًا. وَكَانَ عَلِيٌّ رَاكِعًا فِي صَلَاتِهِ، فَأَشَارَ إِلَى الْفَقِيرِ بِخَاتَمِهِ، فَتَقَدَّمَ الْفَقِيرُ وَأَخَذَ الْخَاتَمَ. وَيُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْحَادِثَةَ نَزَلَتْ فِيهَا الْآيَةُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ (سُورَةُ الْمَائِدَةِ: ٥٥).

مَنْزِلَةُ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عِنْدَمَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ، اسْتَخْلَفَ عَلِيًّا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَلَى الْمَدِينَةِ لِيَهْتَمَّ بِشُؤُونِهَا أَثْنَاءَ غِيَابِهِ. شَعَرَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ- بِبَعْضِ الْحُزْنِ لِأَنَّهُ لَمْ يُشَارِكْ فِي الْغَزْوَةِ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُخَلِّفُنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟»

فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ قَائِلًا: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؟» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

حَدِيثُ الْقَضَاءِ:

عِنْدَمَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَاضِيًا إِلَى الْيَمَنِ، عَبَّرَ عَلِيٌّ عَنْ قَلَقِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ خِبْرَةٌ كَبِيرَةٌ فِي الْقَضَاءِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ لِسَانَهُ وَاهْدِ قَلْبَهُ».

وَبَعْدَ ذَلِكَ أَصْبَحَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَحَدَ أَعْظَمِ الْقُضَاةِ وَأَكْثَرِهِمْ حِكْمَةً وَعَدْلًا.

الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَالنَّبِيِّ ﷺ:

فِي حَادِثَةِ الْمُؤَاخَاةِ الَّتِي أَجْرَاهَا النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، جَاءَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بَاكِيًا وَقَالَ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَلَمْ تُؤَاخِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ».

فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟»

وَهَذَا يُبْرِزُ مَكَانَةَ عَلِيٍّ الْخَاصَّةَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَدِيثُ الرَّايَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ:

فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

فَأَعْطَاهَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، الَّذِي كَانَ يُعَانِي مِنْ رَمَدٍ فِي عَيْنَيْهِ. فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشُفِيَ، ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ حِصْنَ خَيْبَرَ.

آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ:

عِنْدَمَا نَزَلَتْ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ...﴾ (آلِ عِمْرَانَ: ٦١).

دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَقَالَ:

«اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي».

اهْتِمَامُهُ بِالصَّلَاةِ:

كَانَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- شَدِيدَ الْحِرْصِ عَلَى الصَّلَاةِ، يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا

وَيُوقِظُهُمْ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ قَائِلًا: «الصَّلَاةَ، الصَّلَاةَ».

وَكَانَ يُعَظِّمُ أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَيَحُثُّ النَّاسَ عَلَى إِقَامَتِهَا فِي وَقْتِهَا.

بَيْعَةُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لِلْخِلَافَةِ:

اجْتِمَاعُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ:

- بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، اجْتَمَعَ الصَّحَابَةُ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ.
- كَانَ هُنَاكَ تَرَدُّدٌ وَاخْتِلَافٌ حَوْلَ مَنْ يَصْلُحُ لِتَوَلِّي الْإِمَارَةِ.
- تَوَجَّهَ الْجَمِيعُ إِلَى عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، بِاعْتِبَارِهِ الْأَجْدَرَ وَالْأَصْلَحَ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْعَصِيبِ.

رَفْضُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي الْبِدَايَةِ:

- رَفَضَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي الْبِدَايَةِ تَوَلِّي الْخِلَافَةِ، قَائِلًا إِنَّهُ لَا رَغْبَةَ لَهُ فِي الْإِمَارَةِ.
- أَكَّدَ أَنَّ الْخِلَافَةَ لَيْسَتْ شَرَفًا يَسْعَى إِلَيْهِ، بَلْ أَمَانَةٌ عَظِيمَةٌ وَمَسْؤُولِيَّةٌ جَسِيمَةٌ.

إِصْرَارُ الصَّحَابَةِ عَلَى مُبَايَعَتِهِ:

- اسْتَمَرَّ الصَّحَابَةُ فِي إِلْحَاحِهِمْ عَلَى عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لِقَبُولِ الْخِلَافَةِ.
- رَأَى عَلِيٌّ أَنَّ رَفْضَهُ قَدْ يُزِيدُ الْفِتْنَةَ، فَقَبِلَ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِرِضَا الْجَمِيعِ وَدُونَ قَسْرٍ.

مُبَايَعَةُ النَّاسِ لِعَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- تَجَمَّعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ لِمُبَايَعَتِهِ.
- كَانَتِ الْبَيْعَةُ طَوْعِيَّةً، وَلَمْ تُفْرَضْ عَلَى أَحَدٍ.
- أَعْلَنَ عَلِيٌّ أَنَّهُ سَيَحْكُمُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَسَيَعْمَلُ عَلَى تَحْقِيقِ مَصَالِحِ الْأُمَّةِ.

هذا الحدثُ يعكسُ جانبًا مِنْ عَظَمَةِ شَخْصِيَّةِ الإمامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَحِرْصِهِ عَلَى الحِفَاظِ عَلَى وَحْدَةِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي ظِلِّ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَمُرُّ بِهَا.

خُطْبَةُ الإِمَامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وَأَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا عَلِيٌّ حِينَ اسْتُخْلِفَ:

حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

«إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا يُبَيِّنُ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا بِالْخَيْرِ وَدَعُوا الشَّرَّ. الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ، أَدُّوهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى يُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حُرُمَاتٍ غَيْرَ مَجْهُولَةٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرُمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالإِخْلاَصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالحَقِّ. لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِمَا يَجِبُ.

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمُ الْمَوْتَ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ مَا خَلْفَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ.

تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ النَّاسُ أُخْرَاهُمْ.

اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ فِي بِلاَدِهِ وَعِبَادِهِ، إِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ.

أَطِيعُوا اللهَ فَلاَ تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَدَعُوهُ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾».

مقتله

ذكرَ أنّ ثلاثة مِنَ الخَوارج، وهُمْ عَبْدُ الرّحمَن بنُ عَمْرو المَعْرُوفُ بابْن مُلجَمٍ الحِمْيَريّ، والبُرَكُ بنُ عَبْد الله التّميميّ، وعَمْرو بْنُ بَكر التّميميّ، اجْتمَعُوا فتذاكرُوا قتْلَ عَليّ إخْوَانهُمْ مِنْ أهل النّهْرَوان فترَحّمُوا عَليْهمْ وقالوْا: ماذا

نصْنَعُ بالبَقاء بَعْدَهُمْ ؟ كانوْا مِنْ خَيْرِ النّاس إلى رَبّهِمْ، لا يَخافوْنَ في الله لوْمَة لائِمٍ، فلوْ شَرَيْنَا أنفسَنا فأتيْنَا أئِمّة الضّلالةِ فقتَلناهُمْ فأرَحْنا مِنهُمُ البلادَ وأخَذْنا مِنْهُمْ ثأرَ إخْوَانِنَا، فقالَ ابْنُ مُلجَم : أنا أكفِيْكمْ عَليّ بنَ أبي طالب، وقال : البُرَكُ بنُ عَبْد الله أنا أكفيْكمْ مُعاويَة بْن أبي سُفيانَ، وقال : عَمْرُو بنُ بَكر أنا أكفيْكمْ عَمرَو بْنَ العاص، فتعَاهَدُوا وتوَثقوا أنْ لا يَنْكِصَ رجُلٌ مِنْهُمْ عَنْ صَاحبِهِ حتّى يَقتُلهُ أوْيَمُوتَ دُونهُ، فأخَذوْا أسْيَافهُمْ فسَمّوْها، واتعَدُوا لِسَبْعَ عَشْرَة مِنْ رَمَضانَ أنْ يُبَيّتَ كلّ وَاحدٍ مِنْهُمْ صاحبَهُ في بَلده الذيْ هُوَ فيهِ، فأمّا ابنُ مُلجَم فسَارَ إلى الكوْفةِ فدَخلهَا، وكتَمَ أمْرَهُ حتّى عَنْ أصْحابهِ منَ الخَوَارج الذيْنَ هُم بها، فبَيْنَمَا هُو جالِسٌ في قوْم مِنْ بَنِيْ تيْم الرّباب وهُمْ يَتذكرُونَ قتْلاهُم يومَ النّهْرَوَان إذ أقبَلت امْرَأة مِنهُمْ يُقالُ لها قُطَام بنْت الشِّجْنَةِ، قدْ قتلَ عَليّ يومَ النّهْرَوَان أبَاها وأخَاها، وكانتْ فائِقة الجَمالِ مَشهُورَة بهِ، وكانتْ قد انقطعَتْ في المَسْجد الجَامع تتَعَبّدُ فيهِ، فلمّا رَآها ابْنُ مُلجَم سَلبَتْ عَقلهُ، وَنسيَ حاجَتهُ التي جَاءَ لها وخَطبَها إلى نفسها، فاشْتَرَطتْ عَليْهِ ثلاثة آلاف درْهَم وخَادمًا وقيْنَة، وأنْ يَقتُلَ لها عَليّ بنَ أبي طالب، قال فهُو لكَ، ووَالله ماجَاءَ بيْ إلى هذه البَلدَة إلا قتْلُ عليّ، فتَزوّجَها ودخَلَ بها، ثمّ شَرَعَتْ تحَرّضُهُ على ذٰلكَ، وندَبَتْ لهُ رَجلا مِن قوْمها مِنْ تيم الرَّبابِ يُقالُ لهُ وَرْدَانُ، لِيَكونَ معَهُ رِدْءًا، واسْتمَالَ ابنُ مُلجَمٍ رَجلاً آخرَ يُقالَ لهُ شَبِيْبُ بنُ بَجَرَة الأشْجَعِيّ

الحَرُورِيّ، قال لهُ ابنُ مُلجَمٍ : هلْ لكَ في شرَفِ الدّنْيا والآخِرة ؟

فقالَ : وماذٰكَ ؟ قال قتْلُ عليٍّ، فقال ثكِلتْكَ أمّكَ، لقدْ جئتَ شَيْئًا إدًّا، كيْفَ تقْدِرُ عَليْهِ ؟ قال أكمُنُ لهُ في المَسْجِدِ، فإذا خَرجَ لِصَلاة الغدَاة شَدَدْنا عَليْهِ فقتَلنَاهُ، فإنْ نجَوْنا شَفيْنَا أنفسَنَا وأدْركنَا ثأرَنا، وإنْ قتِلنا فمَا عنْدَ الله خيْرٌ منَ الدّنيَا، فقال ويْحكَ لوْ غيْرَ عليّ لكانَ أهْوَنَ عَليّ، قدْ عَرَفتُ سابقتَهُ في الإسلام وقرَابَتَهُ مِنْ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمَاأجدُني أنشَرِحُ صَدْرًا لِقتْلِه، فقال أمَاتعْلمُ أنهُ قتَلَ أهْلَ النّهْرَوَان فقال بَلى، قال فنقتُلُه بمَنْ قتَلَ مِنْ إخْواننا، فأجابَهُ إلى ذٰلكَ لأيٍ، ودخَلَ شَهْرَ رَمَضانَ، فوَاعَدَهُمْ ابْنُ مُلجَم ليْلة الجُمْعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَة ليلة خلتْ، وقال هذه الليْلة التي وعَدْتُ أصْحَابي يَقتُلُ كلّ وَاحِدٍ منّا فيها صاحبهُ الذيْ ذهَبَ إليْهِ،ثمّ جاءُوا إلى قُطَامٍ، وَهيَ امرأة ابْنُ مُلجَمٍ، فدَعَتْ لهُمْ بعِصَبِ الحَرِيْر فعَصَبَتْهُمْ بها، وكانتْ في المَسْجد، فجَاءَ هَؤلاء الثلاثة، وهُمْ ابنُ مُلجَم ووَرْدَانُ، وشَبِيْبٌ، وهُمْ مُشْتَملوْنَ على سُيُوْفهمْ، فجَلسُوا مُقابلَ السُّدّةِ التِي يَخْرُجُ مِنها عليّ، فلمّا خرجَ جعَلَ يُنهِضُ النّاسَ منَ النّوْم إلى الصّلاة ويَقولُ : الصّلاة الصّلاة، فثارَ إليه شَبيبٌ بالسّيْف فضَرَبَهُ فوَقعَ في الطّاقِ، فضَرَبَه ابنُ مُلجَم بالسّيْفِ على قرْنِه، فسالَ دَمُهُ على لِحْيَتهِ رَضيَ الله عَنه، ولمّا ضَرَبَهُ ابنُ مُلجَمٍ قال : لا حُكمَ إلا لِله، ليْسَ لكَ ياعلِيّ ولا لِأصْحَابكَ، وجَعَلَ يَتْلو قوْلَهُ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى

﴿نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ ونادَى عليّ، عليْكمْ بهِ، وهَرَبَ ورْدَانُ، فأدْرَكَهُ رَجلٌ مِنْ حَضْرَمُوتَ فقتَلهُ، وذهَبَ شَبِيبٌ فنجَا بِنفْسهِ وفاتَ النّاسَ، ومُسِكَ ابنُ مُلجَمٍ، وقدّمَ عَليّ جَعْدَةَ بنَ هُبَيْرَة بْن أبِي وَهْبٍ فصَلىّ بالنّاسِ صَلاة الفَجْرِ، وحُمِلَ عليّ إلى مَنْزِلِهِ، وحُمِلَ إليْه ابنُ مُلجَمٍ، فأوْقفَ بيْنَ يَدَيْهِ وهُوَ مَكتُوفٌ قبّحَهُ الله، فقال له : أيْ عَدُوّ الله ألمْ أحْسِنْ إليكَ ؟ قال بَلى، قال فمَا حَمَلكَ على هَذا ؟ قال شَحَذْتُهُ أرْبَعيْنَ صَبَاحًا، وسألتُ الله أنْ يَقتُلَ بهِ شَرّ خلْقهِ، فقال لهُ عليّ لا أُرَاكَ إلا مَقتُوْلا بهِ، ولا أرَاكَ إلا مِنْ شَرّ خَلقهِ ثمّ قال : إنْ مِتُّ فاقتُلوْهُ، وإنْ عِشْتُ فأنا أعْلمُ كيْفَ أصْنعُ بهِ.

وأمّا صاحبُ مُعاويَة - وهُو البُرَكُ - فإنهُ حَمَلَ عَليْهِ وهُو خارجٌ إلى صلاة الفجْر في هذا اليَوْمِ، فضَرَبَه بالسّيف، وقيْلَ بخنْجَر مَسْمُوم، فجَاءَت الضّرْبَة في ورْكِهِ فجَرَحتْ أليَتهُ، ومُسكَ الخارجيّ فقتل وأمّا صاحبُ عَمرُو بن العاص - وهُو عمْرُو بنُ بَكر - فإنهُ كمَنَ لهُ لِيَخْرُجَ إلى الصلاة، فاتفقَ أنْ عَرَضَ لِعَمرو بن العاص مَغصٌ شَديْدٌ في تلك الليْلة، فلمْ يَخْرُج إلا نائِبُهُ إلى الصلاة، وهُو خارجَة بنُ أبي حَبيبَة مِن بَني عامِر بن العاص، فحمَلَ عليه الخارجيّ فقتَلهُ، وهُو يَعتَقدُهُ عمْرو بنَ العاص فلمّا أخذ الخارجي قال : أرَدْتُ عمرًا وأرَادَ الله خارجَة، فأرْسَلها مَثلا ، ثمّ قتلَ قبّحَهُ الله.

وصيّتُه لِبَنِيهِ وعامّةِ المسلمينَ

وصيّةُ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه لأولادِهِ وأهلِ بيتِهِ ولِعامّةِ المسلمينَ جاءت مليئةً بالموعظةِ والحِكمةِ. وهي من أبلغِ الوصايا التي تدعو إلى تقوى اللهِ، والالتزامِ بأوامرِهِ، والنهيِ عن محارمِهِ، والعملِ لما فيهِ الخيرُ والصلاحُ للأمّةِ.

وممّا جاءَ في وصيّتِهِ المشهورةِ عندَ احتِضارِهِ:

١. التّقوى والالتزامُ بالفرائضِ:

«أُوصيكُما وجميعَ ولدي وأهلي ومَن بلغَهُ كتابي بتقوى اللهِ، ونَظْمِ أمرِكُم، وصلاحِ ذاتِ بينِكُم؛ فإنّي سمعتُ جدَّكُم صلى اللهُ عليه وآلِهِ وسلم يقولُ: (صلاحُ ذاتِ البينِ أفضلُ مِن عامّةِ الصلاةِ والصيامِ)».

٢. مراعاةُ حقوقِ الجيرانِ:

«اللهَ اللهَ في جيرانِكُم، فإنّهُم وصيّةُ نبيِّكُم، ما زالَ يُوصي بِهِم حتّى ظننّا أنّهُ سيُورِّثُهُم».

٣. الالتزامُ بالصلاةِ:

«اللهَ اللهَ في الصلاةِ، فإنّها عَمُودُ دينِكُم».

٤. الزّكاةُ وإطعامُ المُحتاجينَ:

«اللهَ اللهَ في الزّكاةِ، فإنّها تُطفِئُ غضبَ الرّبِّ».

٥. القُرآنُ والعملُ بِهِ:

«اللهَ اللهَ في القُرآنِ، لا يَسبِقُكم بالعملِ بِهِ غيرُكُم».

٦. الأمرُ بالمعروفِ والنّهيُ عن المُنكَرِ:

«اللهَ اللهَ في بيتِ ربِّكُم، لا تَخلُوهُ ما بَقيتُم؛ فإنّهُ إنْ تُرِكَ لم تُناظَرُوا. اللهَ اللهَ في الجِهادِ في سبيلِ اللهِ بِأموالِكُم وأنفُسِكُم وألسِنَتِكُم».

٧. العدلُ والإحسانُ:

«كُونُوا للظّالِمِ خَصمًا وللمَظلومِ عَونًا».

٨. اجتنابُ الفتنِ والفُرقةِ:

«أُوصيكُم بتقوى اللهِ ونَبذِ الفُرقةِ، فلا تَظلِمُوا ولا تَعتَدُوا، واعملُوا لما فيهِ خيرُ أمّتِكُم وصلاحُ دينِكُم».

وصيّةٌ شامِلةٌ للأخلاقِ والعباداتِ:

عليٌّ رضيَ اللهُ عنه أوصى أبناءَهُ والمُسلمينَ كافّةً بالتحلّي بمكارِمِ الأخلاقِ، فقالَ:

«أُوصيكُم بالتفقُّهِ في الدِّينِ، والتثبُّتِ في الأمرِ، والتعاهُدِ للقُرآنِ، وحُسنِ

الجِوارِ، وكَظمِ الغيظِ، وصِلةِ الرَّحمِ، والحِلْمِ عن الجاهِلِ، والصّفحِ عن المُسيءِ، وإقامةِ الشّهادةِ، والجِهادِ في سبيلِ اللهِ، وخَفضِ الجَناحِ، وإفشاءِ السّلامِ، والتمسُّكِ بِسُنّةِ النّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ».

كلمتُهُ الأخيرةُ:

عندما حضرَتهُ الوفاةُ، كرّرَ رضيَ اللهُ عنه:

«اللهَ اللهَ في اليَتامى، فلا تُغبُّوا أفواهَهُم، ولا يُضيّعُوا بحضرتِكُم. اللهَ اللهَ في جيرانِكُم، فإنّهُم وصيّةُ نبيِّكُم».

ثمّ قالَ:

«لا إلهَ إلّا اللهُ، فمَنْ يَعملْ مِثقالَ ذرَّةٍ خيرًا يرَهُ، ومَنْ يَعملْ مِثقالَ ذرَّةٍ شرًّا يرَهُ».

وَفاتُهُ:

اسْتُشْهِدَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٤٠ هـ، عَلَى يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجِمٍ الْمُرَادِي، فِي حَادِثَةٍ تَارِيخِيَّةٍ مُؤْلِمَةٍ أَثَّرَتْ فِي مَسَارِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَدْرًا بِسَبَبِ فِتْنَةِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَ فِي اغْتِيَالِهِ تَحْقِيقًا لِأَهْدَافِهِمُ السِّيَاسِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ.

وَقَعَتِ الْجَرِيمَةُ بَيْنَمَا كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَارِجًا لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فِي

مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، حَيْثُ تَرَبَّصَ لَهُ ابْنُ مُلْجِمٍ وَضَرَبَهُ بِسَيْفٍ مَسْمُومٍ، مِمَّا أَدَّى إِلَى إِصَابَتِهِ إِصَابَةً قَاتِلَةً.

هَذَا الْحَدَثُ يُمَثِّلُ وَاحِدَةً مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ، إِذَا فَقَدَتِ الْأُمَّةُ قَائِدًا عَظِيمًا اشْتَهَرَ بِالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَكَانَ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ أَسْلَمُوا وَنَصَرُوا الدَّعْوَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ.

السَّيِّدةُ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها

هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ الإِمَامِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ، خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، الْقُرَشِيَّةُ التَّيْمِيَّةُ، الْمَكِّيَّةُ، النَّبَوِيَّةُ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، زَوْجَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. تُعَدُّ أَفْقَهَ نِسَاءِ الْأُمَّةِ عَلَى الإِطْلَاقِ.

كُنْيَةُ السَّيِّدَةِ عَائِشَة

كَانَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تُكْنَى بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ نِسْبَةً إِلَى ابْنِ أُخْتِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَالَّذِي أَتَتْ بِهِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَفَلَ فِي فَمِهِ لِيَكُونَ أَوَّلَ مَا يَدْخُلُ إِلَى جَوْفِهِ.

وَيُقَالُ إِنَّهَا طَلَبَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْيَةً كَبَاقِي النِّسَاءِ، فَكَنَّاهَا بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ تَطْيِيبًا لِخَاطِرِهَا. فَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -

قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ صَوَاحِبِي لَهُنَّ كُنًى، قَالَ: فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ (يَعْنِي ابْنَ أُخْتِهَا)».

وَالِدَةُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ

وَالِدَتُهَا هِيَ أُمُّ رُومَانَ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ عُوَيْمِرَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عُتَّابَ بْنِ أُذَيْنَةَ الْكِنَانِيَّةُ.

نَشْأَةُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ

وُلِدَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ بَعْدَ الْبَعْثَةِ بِأَرْبَعِ أَوْ خَمْسِ سِنِينَ، وَهِيَ أَصْغَرُ مِنَ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِثَمَانِي سِنِينَ. نَشَأَتْ فِي بَيْتٍ مُؤْمِنٍ يَدِينُ بِدِينِ الإِسْلَامِ، وَتَرَبَّتْ عَلَى يَدِ وَالِدَيْنِ مُؤْمِنَيْنِ. وَكَانَتْ مِنَ النِّسَاءِ السَّابِقَاتِ إِلَى الإِسْلَامِ، وَتَرَبَّتْ عَلَى الْفَضَائِلِ وَالأَخْلَاقِ الرَّفِيعَةِ، إِذْ نَشَأَتْ فِي بَيْتِ الْمَكَارِمِ.

صِفَاتُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ

كَانَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ امْرَأَةً بَيْضَاءَ جَمِيلَةً، وَكَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهَا «الْحُمَيْرَاءُ». وَلَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكْرًا غَيْرَهَا، وَلَمْ يُحِبَّ امْرَأَةً حُبَّهُ لَهَا. وَلَمْ يُعْرَفْ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ وَلَا فِي النِّسَاءِ كَافَّةً، امْرَأَةٌ أَعْلَمُ مِنْهَا فِي الدِّينِ.

هِجْرَةُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ

هَاجَرَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ مَعَ أَبَوَيْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، لِتَبْدَأَ رِحْلَتَهَا كَزَوْجَةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمٍّ لِلْمُؤْمِنِينَ.

زواجُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تُوُفِّيَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، وَحَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيدًا. فَجَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ تُعْرِضُ عَلَيْهِ الزَّوَاجَ، فَسَأَلَهَا النَّبِيُّ: «مَنِ الْبِكْرُ؟ وَمَنِ الثَّيِّبُ؟» فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ الْبِكْرَ هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَالثَّيِّبَ هِيَ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ. فَأَمَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَذْهَبَ وَتَخْطُبَ لَهُ ابْنَةَ أَبِي بَكْرٍ.

بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ وَفَاةِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ، تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ فِي الْمَنَامِ رُؤْيَا تُثْبِتُ ذَلِكَ؛ إِذْ جَاءَهُ مَلَكٌ وَمَعَهُ شَيْءٌ فِي لِفَّةِ حَرِيرٍ، فَقَالَ لَهُ: «هَذِهِ زَوْجَتُكَ عَائِشَةُ».

تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِاثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا، وَهِيَ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ، وَدَخَلَ بِهَا بَعْدَ الْهِجْرَةِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ ابْنَةُ

تِسْعِ سِنِينَ. تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ: (تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ).

تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا وَبِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، لَكِنَّهُ دَخَلَ بِسَوْدَةَ أَوَّلًا، ثُمَّ بَنَى بِعَائِشَةَ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ. عَاشَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ، حَتَّى تُوُفِّيَ وَهِيَ فِي الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهَا.

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُظْهِرُ حُبَّهُ لِعَائِشَةَ عَلَنًا. وَلَمَّا سُئِلَ: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟» قَالَ: «عَائِشَةُ». فَقِيلَ: «وَمِنَ الرِّجَالِ؟» قَالَ: «أَبُوهَا».

خَصَائِصُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -

١. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ).

٢. كَانَتْ أَحَبَّ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ.

٣. لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ بِكْرًا غَيْرَهَا.

٤. كَانَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي لِحَافِهَا دُونَ غَيْرِهَا.

٥. عِنْدَ نُزُولِ آيَةِ التَّخْيِيرِ، بَدَأَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاخْتَارَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، فَاقْتَدَتْ بِهَا بَاقِي زَوْجَاتِ النَّبِيِّ.

٦. بَرَّأَها اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَادِثَةِ الإِفْكِ فِي آيَاتٍ تُتْلَى فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَرَفَعَ بِذَلِكَ قَدْرَهَا.

٧. كَانَ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يَسْتَفْتُونَهَا فِي الْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ، لِعِلْمِهَا الْوَاسِعِ.

٨. تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِهَا، وَفِي بَيْتِهَا، وَبَيْنَ سَحْرِهَا وَنَحْرِهَا، وَدُفِنَ فِي غُرْفَتِهَا.

٩. رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُورَتَهَا فِي سَرْقَةِ حَرِيرٍ قَبْلَ زَوَاجِهِ بِهَا، فَقَالَ: (إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ).

١٠. كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ هَدَايَاهُمْ لِلنَّبِيِّ فِي يَوْمِهَا؛ تَقَرُّبًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

صِفَاتُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - الْخَلْقِيَّةُ وَالْخُلُقِيَّةُ

صِفَاتُهَا الْخَلْقِيَّةُ

١. الْجَمَالُ:

كَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - امْرَأَةً جَمِيلَةً، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أُمِّهَا فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ: (فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا).

كَانَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بَيْضَاءَ اللَّوْنِ مَشْرُوبَةً بِحُمْرَةٍ، وَلُقِّبَتْ بِـ«الْحُمَيْرَاءِ» بِسَبَبِ حُمْرَةِ وَجْهِهَا.

٢. الْجِسْمُ:

كَانَتْ نَحِيلَةً فِي صِغَرِهَا، خَفِيفَةَ اللَّحْمِ، وَزَادَ وَزْنُهَا مَعَ تَقَدُّمِ الْعُمُرِ. قَالَتْ عَنْ نَفْسِهَا: (أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَقَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَة). كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الطُّولِ مِنْهَا إِلَى الْقِصَرِ، وَذَاتَ شَعْرٍ طَوِيلٍ.

صِفَاتُهَا الْخُلُقِيَّةُ

١. كَثْرَةُ الْعِبَادَةِ:

أ. الْمُدَاوَمَةُ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى:

قَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: (صَلَّيْتُ صَلَاةً كُنْتُ أُصَلِّيهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ أَنَّ أَبِي نُشِرَ، فَنَهَانِي عَنْهَا، مَا تَرَكْتُهَا).

ب. قِيَامُ اللَّيْلِ:

كَانَتْ إِذَا نَامَتْ عَنْ حِزْبِهَا لَيْلًا قَضَتْهُ نَهَارًا. وَقَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: (كُنْتُ أَقُومُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ التَّمَامِ، فَكَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءِ، فَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا تَخَوُّفٌ إِلَّا دَعَا اللَّهَ

وَاسْتَعَاذَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا اسْتِبْشَارٌ إِلَّا دَعَا اللَّهَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ).

ج. صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ جَمَاعَةً: (أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَانَ يَؤُمُّهَا غُلَامُهَا ذَكْوَانُ فِي الْمُصْحَفِ فِي رَمَضَانَ).

د. الصِّيَامُ: كَانَتْ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَقِيلَ إِنَّهَا تَصُومُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ. كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: (أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كَانَتْ تَصُومُ الدَّهْرَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ).

٢. الزُّهْدُ وَالْوَرَعُ:

أ. الزُّهْدُ فِي الذِّكْرِ وَالثَّنَاءِ:

عِنْدَمَا أَثْنَى عَلَيْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَتْ: (وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا).

ب. الزُّهْدُ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ:

قَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ).

ج. الْحِجَابُ: لَمْ تَخْلَعِ الْحِجَابَ مُنْذُ دُفِنَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حُجْرَتِهَا مَعَ أَبِيهَا وَزَوْجِهَا. وَقَالَتْ: (كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي، فَأَضَعُ ثَوْبِي وَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ

مَعهُمْ، فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

٣. الْكَرَمُ وَالسَّخَاءُ:

كَانَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - سَخِيَّةً كَأَبِيهَا وَزَوْجِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَجْمَعُ الْمَالَ لِتَقْسِيمِهِ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ. وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: (مَا رَأَيْتُ امْرَأَتَيْنِ أَجْوَدَ مِنْ عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، وَجُودُهُمَا مُخْتَلِفٌ. أَمَّا عَائِشَةُ فَكَانَتْ تَجْمَعُ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَهَا قَسَّمَتْ، وَأَمَّا أَسْمَاءُ فَكَانَتْ لَا تُمْسِكُ شَيْئًا لِغَدٍ).

٤. غَيْرَتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كَانَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَغَارُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَاصَّةً مِنْ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -.

قالت عائشة -رضي الله عنها-: (اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ؛ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ: اللهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، فَغِرْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ الله خَيْرًا مِنْهَا).

جُهُودُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - فِي حِفْظِ الدِّينِ وَخِدْمَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

كَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - مِنْ كِبَارِ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ، وَالمَرْجِعِ الأَوَّلِ فِي الحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ، وَالفَقِيهَةِ الأُولَى فِي الإِسْلَامِ. وَكَانَ فُقَهَاءُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا فِي المَسَائِلِ العَوِيصَةِ، فَيَجِدُونَ عِنْدَهَا الإِجَابَاتِ الوَافِيَةَ. وَقَدْ تَفَقَّهَ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَرَوَوْا عَنْهَا الأَحَادِيثَ.

ثَنَاءُ العُلَمَاءِ وَالصَّحَابَةِ عَلَيْهَا

١. مَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ - التَّابِعِيُّ وَالإِمَامُ القُدْوَةُ - قَالَ:

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مَشِيخَةَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الفَرَائِضِ!

٢. الإِمَامُ الزُّهْرِيُّ قَالَ:

لَوْ جُمِعَ عِلْمُ عَائِشَةَ إِلَى عِلْمِ جَمِيعِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِلْمِ جَمِيعِ النِّسَاءِ، لَكَانَ عِلْمُ عَائِشَةَ أَفْضَلَ.

٣. عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ - ابْنُ أُخْتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ - قَالَ:

مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَعْلَمَ بِالقُرْآنِ، وَلَا بِفَرِيضَةٍ، وَلَا بِحَلَالٍ وَحَرَامٍ،

وَلاَ بِشِعْرٍ، وَلاَ بِحَدِيثِ العَرَبِ، وَلاَ بِالنَّسَبِ مِنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

٤.أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ:

مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا - أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثٌ قَطُّ، فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا.

كَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - حَرِيصَةً عَلَى بَثِّ مَا عِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ، وَعَدَمِ كِتْمَانِ مَا سَمِعَتْهُ فِي بَيْتِ النُّبُوَّةِ مِنَ الحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ. وَقَدْ حَفِظَتْ لِلأُمَّةِ بَضْعَةَ آلَافٍ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلَغَ عَدَدُهَا فِي الكُتُبِ السِّتَّةِ أَلْفَيْنِ وَمِائَةٍ وَعَشَرَةَ أَحَادِيث.

مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ رَوَوْا عَنْهَا

١. عَمْرُو بْنُ العَاصِ.

٢. أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ.

٣. أَبُو هُرَيْرَةَ.

٤. عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ.

٥. عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ.

٦. السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ.

٧. زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ الجُهَنِيُّ، وَغَيْرُهُمْ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَمِنَ التَّابِعِينَ الَّذِينَ رَوَوْا عَنْهَا

١. مَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ.

٢. عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ.

٣. الأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ.

٤. سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ.

٥. عَبْدُ اللهِ وَعُرْوَةُ ابْنَا الزُّبَيْرِ (ابْنَا أُخْتِهَا).

٦. القَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ (ابْنُ أَخِيهَا).

٧. مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ.

٨. عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ.

٩. أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَغَيْرُهُمْ.

ثَنَاءُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَلَيْهَا

قَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ مَسْرُوقٌ إِذَا حَدَّثَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَ: حَدَّثَتْنِي الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللهِ تَعَالَى، المُبَرَّأَةُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

بِهَذَا يَظْهَرُ مَكَانَةُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - كَمَرْجِعٍ فِي العِلْمِ

وَالفِقْهِ، وَدَوْرُهَا الكَبِيرُ فِي حِفْظِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَنَشْرِهَا بَيْنَ النَّاسِ.

ثَنَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ وَمَحَبَّتُهُ لَهَا

أَحَبَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ حُبًّا شَدِيدًا، وَكَانَ ذَلِكَ وَاضِحًا فِي حَيَاتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لَهَا. فَقَدْ تُوُفِّيَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجْرِهَا، وَدُفِنَ فِي بَيْتِهَا.

رَوَتْ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِ وَفَاتِهِ طَلَبَ السِّوَاكَ مِنْهَا، وَكَانَ قَاسِيًا عَلَيْهِ، فَقَامَتْ بِتَلْيِينِهِ لَهُ وَوَضَعَتْهُ فِي فَمِهِ. كَمَا طَلَبَ مِنْ زَوْجَاتِهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ ـ أَنْ يُسْمِحْنَ لَهُ بِالبَقَاءِ أَيَّامَ مَرَضِهِ فِي بَيْتِهَا، فَوَافَقْنَ عَلَى ذَلِكَ.

وَمِنْ دَلَائِلِ مَحَبَّتِهِ لَهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُنَادِيهَا بِأَسْمَاءٍ مُحَبَّبَةٍ، مِثْلَ: «يَا عَائِشُ» أَوْ «يَا عُوَيْشُ»، وَهُوَ مِنْ أَسَالِيبِ التَّحَبُّبِ وَالتَّوَدُّدِ.

قِصَّةُ الإِفْكِ وَصَبْرُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهَا

خَيْرُ مَنْ ذَكَرَ قِصَّةَ الإِفْكِ بِالتَّفْصِيلِ هِيَ صَاحِبَةُ القِصَّةِ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ الإِمَامِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. وَقَدْ رَوَى الحَدِيثَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ:

كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ. فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ.

وَتُوَاصِلُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ سَرْدَ القِصَّةِ حَتَّى قَالَتْ:

فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ. فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ. وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطِّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ. فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَاللهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نُزُولٌ. قَالَتْ: فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الْإِفْكِ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ.

قَالَ عُرْوَةُ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ.

وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فِي نَاسٍ آخَرِينَ لَا عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى، وَإِنَّ كِبْرَ ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ.

قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ، وَتَقُولُ: إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ** لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يُرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: (كَيْفَ تِيكُمْ؟) ثُمَّ يَنْصَرِفُ. فَذَلِكَ يُرِيبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقِهْتُ، فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ، وَكَانَ مُتَبَرَّزَنَا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا.

قَالَتْ: وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ قِبَلَ الْغَائِطِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا. قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ

ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عِبَادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ.

فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهُ! أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: وَقُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ. قَالَتْ: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي. فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ.

ثُمَّ قَالَ: (كَيْفَ تِيكُمْ). فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا. قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا. قَالَتْ: فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ، أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ، لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ.

ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي. قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ

بَراءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسامَةُ: أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا.

وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تُصَدِّقْكَ. قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: (أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ شَيْئًا يُرِيبُكِ؟).

قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: (يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي).

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ.

قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتُ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا،

وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرِ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ.

قَالَتْ: فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرِ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ.

قَالَتْ: فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ.

قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ، حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ، لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ.

قَالَتْ: وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي، قَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، وَلَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي.

قَالَتْ: فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي.

قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَٰلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: لَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ.

قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: (أَمَّا بَعْدُ،

يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ).

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِّي فِيمَا قَالَ.

فَقَالَ أَبِي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِّي فِيمَا قَالَ.

فَقَالَتْ أُمِّي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقُلْتُ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ كَثِيرًا، إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ: لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي، فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُحْيَىٰ حِينَ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَىٰ فِرَاشِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى،

لِشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيهِ بِأَمْرٍ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا.

فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أُنزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ الْعَرَقُ مِثْلَ الْجُمَّانِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ الْقُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ.

قَالَتْ: فَسُرِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: (يَا عَائِشَةُ، أَمَا وَاللَّهِ فَقَدْ بَرَّأَكِ).

فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَتْ: وَأُنزِلَتْ آيَاتُ بَرَاءَتِي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾، العَشَرَ آيَاتٍ، ثُمَّ أُنْزِلَتْ آيَاتُ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ.

فَأُنْزِلَتْ: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَلَىٰ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنزِعُهَا عَنْهُ أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ لِزَيْنَبَ: «مَاذَا عَلِمْتِ؟ أَوْ رَأَيْتِ؟»

فَقَالَتْ زَيْنَبُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُحِمِّي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ.

قَالَتْ: وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكْ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَهَذَا الَّذِي بَلَغَنِي مِنْ حَدِيثِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ.

ثُمَّ قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنَفِ أُنثَىٰ قَطُّ.

قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وفَاةُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

تُوُفِّيَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ فِي السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ. صَلَّى عَلَيْهَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَشُيِّعَتْ جَنَازَتُهَا فِي غَسَقِ اللَّيْلِ عَلَىٰ أَضْوَاءِ الْمَشَاعِلِ.

كَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَدْ أَوْصَتْ أَنْ تُدْفَنَ لَيْلًا، وَدُفِنَتْ فِي الْبَقِيعِ مَعَ صَوَاحِبِهَا، تَنْفِيذًا لِوَصِيَّتِهَا لِابْنِ أُخْتِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ.

شَارَكَ فِي إِنْزَالِهَا إِلَىٰ قَبْرِهَا خَمْسَةُ رِجَالٍ مِنْ أَقَارِبِهَا:

١. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ابْنُ أُخْتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ.

٢. عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ابْنُ أُخْتِهَا أَسْمَاءَ.

٣. الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ابْنُ أَخِيهَا.

٤. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ابْنُ أَخِيهَا.

٥. عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ابْنُ أَخِيهَا.

عَاشَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - حَيَاةً عَامِرَةً بِالْعَطَاءِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، حَتَّى بَلَغَتْ سِتًّا وَسِتِّينَ سَنَةً. رَحِمَهَا اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً وَأَسْكَنَهَا فَسِيحَ جَنَّاتِهِ.

الخاتمة

هذا ما وفقني الله لجمعه وترتيبه في مدة وجيزة.

تم إتمامه يوم الجمعة، الموافق ٨ صفر ١٤٤٥هـ / ٢٥ أغسطس ٢٠٢٣م، في كليف - كينيا.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الأمة الإسلامية. آمين.

المراجع والمصادر

١. تفسير ابن كثير - ابن كثير.

٢. صحيح البخاري - الإمام البخاري.

٣. صحيح مسلم - الإمام مسلم.

٤. صحيح ابن حبان - ابن حبان.

٥. المستدرك على الصحيحين - الإمام الحاكم.

٦. سنن الترمذي - الإمام الترمذي.

٧. سنن ابن ماجه - ابن ماجه.

٨. سنن أبي داود - الإمام أبي داود.

٩. مسند أحمد - الإمام أحمد.

١٠. الإتقان في علوم القرآن - الإمام السيوطي.

١١. مباحث في علوم القرآن - مناع خليل القطان.

١٢. فتح العلم شرح منظومة عقيدة العوام - الدكتور هشام أحمد موسى.

١٣. البرهان في علوم القرآن - الزركشي.

١٤. رشفان النهلان من موارد كتاب الإتقان - السيد محمد ابن الشريف سعيد البيض.

١٥. فقه السيرة - الإمام الغزالي.

١٦. السيرة النبوية - ابن هشام.

١٧. الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري.

١٨. البداية والنهاية - ابن كثير.

١٩. تاريخ الطبري - الإمام الطبري.

٢٠. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - الشيخ محمد الخضري.

٢١. تاريخ الخلفاء - الإمام السيوطي.

٢٢. سير أعلام النبلاء - الحافظ الذهبي.

فهرس المحتويات